جامعة قاصدي مرباح ورقلة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
شعبة الفلسفة

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة ماستر أكاديمي

التخصص: تاريخ الفلسفة

من إعداد الطالبة:

إلهام حفيان

بعنوان:

موقف أرسطو من الأخلاق

نوقشت و أجيزت علنا بتاريخ: / 06 / 2018.

أمام اللجنة المكونة من السادة:

د.كراش إبراهيم	جامعة قاصدي مرباح –ورقلة– رئيسا.
د.لعموري شهيدة	جامعة قاصدي مرباح –ورقلة– مشرفا و مقررّا.
أ.بن قويدر عاشور	جامعة قاصدي مرباح –ورقلة– مناقشا.

السنة الجامعية 2018/2017

جامعة قاصدي مرباح ورقلة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
شعبة الفلسفة

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة ماستر أكاديمي
التخصص: تاريخ الفلسفة

من إعداد الطالبة:
إلهام حفيان

بعنوان:

موقف أرسطو من الأخلاق

نوقشت و أجيزت علنا بتاريخ: / 06 / 2018.
أمام اللجنة المكونة من السادة:

د. كراش إبراهم	جامعة قاصدي مرباح –ورقلة– رئيسا.
د.لعموري شهيدة	جامعة قاصدي مرباح –ورقلة– مشرفا و مقررّا.
أ. بن قويدر عاشور	جامعة قاصدي مرباح –ورقلة– مناقشا.

السنة الجامعية 2018/2017

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــداء

أهدي ثمرت جهدي إلى من وصى بهما الرحمان في سورة لقمان إلى أمي سندي في الحياة و أبي رحمه الله و أسكنه فسيح جنانه.

و إلى من يبعث في قلبي الفرح و السرور براعم الأسرة الصغار و سيم و ساجدة و هبة مبروكة.

و إلى الأشقاء الأعزاء كل باسمه و كل الأصدقاء و الأحباء و إلى من كانت نعمة الصديقة مباركة بن خمقاني و أم الخير كروط و إلى من كان لي رمزا للاحترام و التقدير جمال حميداتو و خالتي سناء و إلى من يبعث في نفسي الثقة فوزي رمضان و إلى كل من سقط من قلمي سهوا.

و إلى كل من ساهم في إنجاز هذا العمل المتواضع من قريب أو من بعيد.

شكر و امتنان

أشكر الله عز و جل الذي أضاء دربي و أعانني على إنهاء هذا العمل بتوفيقه.

و الشكر و العرفان إلى الأستاذة المشرفة لعموري شهيدة التي كانت خير سند و عون طيلّة إنجاز هذه المذكرة و التي لم تبخل عليا بتوجيهاتها ونصائحها القيمة.

وإلى كل أساتذة شعبة الفلسفة و أخص بالذكر الأستاذ برابح عمر و إلى كل من علمني حرفا طيلة مشواري الدراسي.

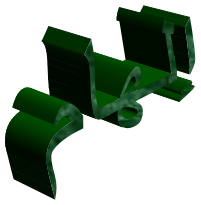

مقدمة

إنّ عملية البحث في القيمة الأخلاقية باعتبارها مبحث من باحث الفلسفة، و بوصفها شكل من أشكال الإنسانية تعد مسألة هامة، و مهمة مشتركة بين الفلاسفة عبر عصور مختلفة لأنها تبحث في سلوك الإنسان و تحدد أفعاله لمعرفة الفضائل و مزاولتها و معرفة الرذائل و تجنبها، أي تهتم بتقويم أفعال البشرية التي تمثل مادة هذا البحث الأخلاقي.

و هذا الاهتمام بالأخلاق لم يكن وليد حضارة واحدة بل كان نتاج لحضارات عديدة الصينية منها و الفرعونية حيث تعددت صوره و أشكاله و بما أن الحضارة اليونانية كسابقيها من الحضارات، فإنها أولتِ اهتمامًا بالغًا للأخلاق و للممارسة الأخلاقية في جميع المجالات و هذا ما دعا له الفكر الفلسفي اليوناني من خلال فلاسفته.

و باعتبار **أرسطو(aristote)**[1] من أهم رجال الفلسفة بوجه عام و اليونانية بوجه خاص، بل هو أهم روادها في كل العصور، حيث كان متشعبا في فلسفته متعددًا في أبحاثه الفلسفية من طبيعية إلى سياسية إلى أخلاقية و غيرها من ألوان البحوث الإنسانية و المعارف التي تشهد كلها بأنّ هذا الفيلسوف يصعب الاستغناء عنه في دائرة الفكر البشري بوجه عام.

[1] ولد أرسطو في أسطا جيرا من مدن ثرا قيا في شمال اليونان سنة384ق. و يحتمل أن يكون أرسطو قد تمرس في صباه بالتشريح على يد والده، و اكتسب من جراء ذلك ولعًا خاصًا بالبحث العلمي، الذي تتميز به آثاره الطبيعية، أما آثار أرسطو فتقع في قسمين متميزين، مختلفي الطابع و لأسلوب و هما قسم المحاورات و المواعظ، الذي تغلب عليه الصبغة الأدبية و الذي ينسج فيه أرسطو على منوال، أفلاطون و قسم المباحث أو المقالات العلمية، التي تحتوي على أهم نتاج أرسطو العلمي و الفلسفي ، و قد و صلنا معظمها بينا لم يصلنا من القسم الأول(قسم المحاورات و المواعظ) إلا أسماؤها و بعض شذرات أو مقتطفات منها، و توفي أرسطو سنة 322ق.م و هو لم يتجاوز الثالثة و الستين.(ماجد فخري، أرسطو طاليس، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، د.ط، 1958، ص11-12).

لذا ارتأينا إلى دراسة الفكر الأخلاقي الأرسطي باعتباره مؤسسًا لعلم الأخلاق من خلال العودة إلى الجذور الفكرية الأخلاقية لأرسطو و أيضا من أجل معرفة تجديداته في علم الأخلاق و معرفة غايته الأخلاقية.

و لأنّ كل الدراسات الفلسفِية الأخلاقية لن تكون ذات قيمة أو أهمية إن لم تحاول تسلِط الضوء على الواقع الإنساني فتقوم بتحليلها في جميع جوانبها – لأنه كما نعلم أن لعلم الأخلاق جانبان، نظري و عملي – لنصل لأسبابها و تحديد انعكاساتها و الأهم من ذلك أن تضع لها الحلول المناسبة في الواقع الإنساني.

ونظرا لأهمية هذه الدراسة كان اختياري لموضوع موقف أرسطو من الأخلاق برغبة مني و ميل إلى فلسفة الأخلاق لأنها تستهدف هوية الإنسان هذا من جهة، و من جهة أخرى محاولة فهم تعامل أرسطو مع الأخلاق و كيفية تطبيقها في الواقع. أما بالنسبة للأسباب الموضوعية فتتمثل في أهمية الموضوع من الناحية العلمية و الفلسفية لأنه يمثل أحد أهم مباحث الفلسفة، و أيضا التعمق أكثر في الأخلاق الأرسطية (الأخلاقية و العقلية) التي تهدف إلى إصلاح الفرد و المجتمع.

و بما أنّ أرسطو حاول في بحثه الأخلاقي تطبيق نظريته الأخلاقية في الواقع هادفا بها إلى إصلاح الفرد و المجتمع، فقد تمحورت إشكالية بحثنا هذا حول إظهار موقف أرسطو من الأخلاق، الذي فرض علينا إشكال رئيسي يتمثل في:

ما موقف أرسطو من الأخلاق؟ و كيف يُنظِّر لها؟ و ما هي غايتها و امتداداتها؟

و يتفرّع عن هذا الإشكال تساؤلات جزئية أهمها: هل كانت للأخلاق الأرسطية جذور فكرية أم كانت منفصلة عن سابقيها؟ ما هي طبيعة لأخلاق الأرسطية؟ و ما هو امتداد الفكر الأخلاقي الأرسطي في العصور اللاحقة؟

و لإحاطة بهذه الإشكالية و التساؤلات المطروحة حاولنا الإجابة عنها من خلال العمل وفق خطة منهجية تتمثل فيما يلي:

مقدمة، تناولنا فيها أهمية الموضوع المدروس و الإشكال الرئيسي الذي تتمحور حوله الدراسة، ثم خطة العمل و المنهج المتبع و أشرنا فيها إلى الأهداف المستوحاة من هذه الدراسة تم بعض الصعوبات التي واجهتنا خلال بحثنا.

الفصل الأول، تناولنا عنواناه مصادر الفكر الأخلاقي عند أرسطو و ذلك من خلال مبحثين: في المبحث الأول تطرقنا إلى التحديد اللغوي و الاصطلاحي لمفهوم الأخلاق و في المبحث الثاني بينا فيه تأثير الفلاسفة السابقين على الفكر الأخلاقي الأرسطي.

و عرضنا في الفصل الثاني الأخلاق بين النظري و العملي من منظور أرسطي، و هو ما يمثل جوهر هذه الدراسة ككل و ذلك من خلال مبحثين: فقد خصصنا المبحث الأول لنظريات الأخلاق من منظور أرسطي، بدءً من نظرية الخير و السعادة، ثم الفضيلة و صولاً إلى الشجاعة و الاعتدال، و المبحث الثاني تطّرقنا لعلاقة الأخلاق بالسياسة في فكر أرسطو، كجانب عملي و تطبيقي للأخلاق.

و عالجنا في الفصل الثالث: امتدادات الفكر الأخلاقي الأرسطي في العصر الوسيط و الحديث ذلك من خلال مبحثين ، حيث تناولنا في المبحث الأول أثر أرسطو في العصر الوسيط أما المبحث الثاني فتطرقنا فيه إلى أثر أرسطو في العصر الحديث.

و أخيرا خاتمة، و صلنا فيها إلى أهّم النتائج المنتظرة من هذه الدراسة.

وقد فرضت علينا طبيعة هذه الدراسة إتباع المنهج التحليلي الذي نحلل من خلاله أهم الأفكار الأرسطية وتصوره للأخلاق إضافة إلى إتباع المنهج النقدي و كذا المنهج التاريخي في بعض جزئيات هذه الدراسة و التي تطلبت استخدام هذه المناهج.

أما عن الأهداف المرجوة من هذه الدراسة يمكن حصرها في النقاط التالية:

1. الكشف على الفكر الأرسطي خاصة فيما يخص الفكر الأخلاقي.
2. معرفة مدى ربط الأخلاق كجانب نظري بالسياسة كجانب عملي تطبيقي.
3. إيضاح مدى تأثير الفكر الأخلاقي الأرسطي في الفكر الوسيط و الحديث.

و نشير في الأخير إلى بعض الصعوبات التي واجهتنا في إتمام إنجازنا هذا العمل: و هي الغوص في مصادر أرسطو و صعوبة التعامل مع مصطلحا ته الأخلاقية مباشرة، و لكن حاولنا تجاوز هذه الصعوبات.

الفصل الأول

المبحث الأول: الإطار لمفاهيمي لفلسفة الأخلاق.

المبحث الثاني: أثر الفلاسفة السابقين على الفكر الأخلاقي الأرسطي.

لو بحثنا في تاريخ الفكر اليوناني لوجدنا فيه أنه لا يمكن عزل أي شخصية فلسفية عن الفلسفات السابقة عنها، و بالتعرض إلى فلسفة أرسطو نتأكد أنه لم تكن فلسفته منفصلة عن سابقيها من الفلسفات، بمعني أنه تأثر بتلك الفلسفات، إما بالرفض أو بالقبول فضلا عن إضافة أرسطو لاجتهاداته في شتى العلوم و المعارف، و بالتركيز على "فلسفة الأخلاق" باعتبارها أحد أهم مباحث الفلسفة لأنها تتناول الجانب السلوكي و الفعلي للإنسان، فقد اختلف مؤرخي الفلسفة على أسبقية الاهتمام بهذا الجانب الإنساني، فهناك من ذهب إلى أن **المدرسة الفيثاغورية*(Pythagoras)**باعتبارها جماعة إصلاحية قائمة على سلوك معين في الحياة و هناك من يقر بأن **سقراط(470 399socrate)*** هو المؤسس لفلسفة الأخلاق و لكننا في دراستنا هذه سوف نتبنى الرأي الأول؛ لأن الفيثاغورية قبل كل شيء هي طريقة في الحياة [1]؛ فقد تأثر بها العديد من المفكرين و الفلاسفة من ضمنهم أرسطو في بحثه الأخلاقي فضلا عن أسبقية الوجود التاريخي بين الفيثاغوريين و سقراط؛ و بما أن كل دراسة علمية لا تخلو من الجانب المفاهيمي فقد ارتأينا أن نبرز أهّم المفاهيم الأخلاقية محاولين توضيح مذهب السعادة من أجل

[1] جورج سارتون، تاريخ العلم، تر:محمد خلف الله و آخرون،(القاهرة، المركز القومي ، ج1،ط1، 2010)، ص418.

*سقراط Socrates : فيلسوف يوناني ولد في ألو بكية نحو عام 470 ق.م و مات في أثينا عام 399 ق.م كان أبوه نحاتا يدعي سافرو نيسكوس و أمه تدعي فينار ته . و لا نعرف سقراط مباشرة ، لأنه لم ينشئ شيئا إلا من خلال مأثورات كثيرة وردة في كتابات أفلاطون ،ترسم لنا أوجها مختلفة له. (جورج الطربيشي: معجم الفلاسفة ،بيروت،دار الطليعة،ط3 ،2006 ص 366.)

*المدرسة الفيثاغورية (572 _497)، وهي مدرسة علمية عنيت بالرياضيات والموسيقى والفلك والطب ، عرفت بعض القضايا الحسابية والهندسية ووضعت في الهندسة ألفاظا اصطلاحية كان منشأها رابط الأخوة تهتم بممارس الزهد.(عبد الفتاح مصطفى غنيمة، فلسفة العلوم الطبيعية، جامعة المنوفية، كلية الأدب، د.ط، د،ت،ص 14.)

تحديد الانتماء للفكر الأخلاقي الأرسطي، فما هو مفهوم الأخلاق؟ و ما حقيقتها عند أرسطو؟ و ما هو التأصيل الفلسفي لفكرة الأخلاق عند أرسطو؟

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي لفلسفة الأخلاق.

يدل لفظ الأخلاق على طرق معينة في الحياة، لذا نجد الدارسين يذهبون في تعريف هذا المصطلح كل حسب اعتقاده و نظرته للحياة التي يعيشها أو التي يجب أن يعيشها، و من هذا المنطلق سوف نتطرق لمجموعة من المفاهيم لمصطلح الأخلاق و هي كالآتي:

المطلب الأول: ماهية الأخلاق لغة و اصطلاحا.

1. الأخلاق لغة:

<<الأخلاق في اللغة جمع خلق، و هو العادة و السجية و الطبع و المروءة والدين.>>[1] و لقد جاء في لسان العرب لابن منظور أيضا أنّ الأخلاق مشتقة من: <<خلق، و الجمع أخلاق والخُلُق: السجية، و هو الدين و الطبع.>>[2] و المعنى ذاته نجده في قاموس المحيط، حيث تدل لفظ الأخلاق بالضم و الضمتين على:<< السجية و الطبع و المروءة و الدين.>>[3]

يتضح من خلال ما سبق أن لفظ الأخلاق في تعريفه اللغوي يحمل المعنى نفسه عند مختلف الدارسين و الباحثين ، فلاسفة كانواُ أم أدبيين.

أما عن الأصل اللّاتيني لمصطلح الأخلاق فيترجم لفظ:

---

[1] جميل صليبا، المعجم الفلسفي، (بيروت– لبنان، دار الكتاب اللبناني، ج1، د.ط ،1978)، ص 49.

[2] ابن منظور، لسان العرب، (تح)، عامر أحمد، (بيروت– لبنان،ج10، ط1، 2003)،صص، 102–104.

[3] مجد الدين محمد بن يعقوب الفَيرُوز آباديّ، القاموس المحيط ،(تح)محمد نعيم العرقسوس،(بيروت – لبنان،مؤسسة الرسالة، ط8، 2005)، ص881.

<< فلسفة الأخلاق moral, philosophy، أما لفظ علم الأخلاق يترجم.Ethics>>[1] ؛ أي أن فلسفة الأخلاق تختلف عن علم الأخلاق من حيث الترجمة و لكن موضوع الدراسة أو البحث فهو واحد و هو دراسة سلوك الإنسان و أفعاله، و بمعنى آخر فإن الإنسان يمثل المادة التي يتم عليها الدراسة باعتباره كائن عاقل و العقل هو مرشد كل فضيلة.

إذا أن موضوع البحث الخلقي الرئيسي يشمل كل ما تتضمنه فكرة الخير الأقصى أو المرغوب منه عند الإنسان أي كل ما يقع عليه اختياري أو يقصد إليه من تعقل لا كوسيلة لتحقيق غاية بعيدة بل باعتبارها غاية في ذاته.[2]؛ بمعنى أن دراسة الأخلاق تبحث في فكرة الخير الصادرة عن التعقل أو بالاختيار بما أنها تعد غاية في ذاته و ليس لشيء آخر.

<< فعلم الأخلاق يعني بالخير حين يستخدم غاية في ذاته، و وظيفة أن يضع المثل العليا للسلوك الإنساني، لأنه يضع القواعد التي تحدد استقامة الأفعال الإنسانية و يدرس الخير الأقصى باعتباره غاية للإنسان التي لا تكون وسيلة لغاية.>>[3] ؛ يتضح من خلال النص بأنه يعطي خصائص التي يتميز بها علم الأخلاق عن غيره من العلوم باعتبارها تدرس الإنسان.

يقرر العقليون أن علم الأخلاق معياري Normative و ليس علما وصفياpositive، أي يبحث في ما ينبغي أن يكون وليس فيما هو كائن ...وهكذا يعتبر العقليون علم الأخلاق بحثا في

[1] مصطفى عبده، فلسفة الأخلاق،(القاهرة، مكتبة مدبولي، ط2،1999)،ص33.

[2] المرجعنفسه،ص33.

[3] المرجع نفسه، ص 33

قواعد السلوك، أما دراسة السلوك كما هو كائن بالفعل فذلك من شأن علم الاجتماع و علم النفس.[1]

يتبين لنا من خلال ما سبق بأن أن لفظة الأخلاق في جانبها اللغوي تحمل نفس الدلالة و في جانبها الاشتقاقي من المصطلح اللاتيني لا تحمل المعنى ذاته، و يعني هذا بأن لفظ الأخلاق يحمل أوجها مختلفة تعكسها لنا اجتهادات الدارسين و الباحثين في هذا المجال.

2. **من الناحية الاصطلاحية:**

عرفت الأخلاق اليونانية بأنها أخلاق السعادة مهما تعددت صورها، و كان مبدأ الوسط و الاعتدال يميز تقريبا كل منهج من مناهج الفلسفة اليونانية. لقد كان هذا الوسط في ذهن **سقراط (socrate)** الذي عرف الفضيلة بالمعرفة،**أفلاطون***(**platon**) عندما عرف الفضيلة بأنها انسجام في العمل، و **أرسطو** عندما عرف الفضيلة بأنها وسط بين رذيلتين.[2]

يتضح بأن الأخلاق اليونانية تتفق في مبدأ الانسجام أي فكرة الوسط أو الاعتدال في الأخلاق، و لكنها تختلف من حيث نظرتها للحياة، و هذا ما جعلها تتخذ صورا مختلفة و لكن الغاية واحدة.

و يمكن تعريف علم الأخلاق من حيث البحث عن المبادئ و ترتيبها و استنباطها و الكشف عن أهميتها للحياة الأخلاقية، مع بيان الوجبات التي يلتزم بها الإنسان.[3] و يعرفه أندريه لالاند

[1] المرجع نفسه،ص 34.

[2] ول ذيورَانت، قصة الفلسفة، (تر)، فتح الله محمد المشعشع، (بيروت، مكتبة المعارف، ط4، 1982)، ص89.

[3] قلامين صباح، محاضرات في فلسفة الأخلاق، (لبنان، مركز جيل البحث العلمي، د.ط، 2015)، ص10.

أيضا: بأنه مجموعة القواعد و السلوكية المعتبرة الصالحة بلا شرط.[1]؛ يتبين لنا من خلال النصين أنه تأكيد على عدم اتفاق الباحثين في نظرتهم للأخلاق.

و يسمى علم الأخلاق:<< بعلم السلوك، أو تهذيب الأخلاق، أو فلسفة الأخلاق أو الحكمة العملية، أو الحكمة الخلقية. و المقصود به معرفة الفضائل، و كيفية اقتنائها، لتزكو بها النفس، و معرفة الرذائل لتتنزه عنها النفس.>>[2]؛يبدو لنا من خلال ما سبق أن لفظ الأخلاق يحمل أسماء مختلفة و لكنها تحمل نفس الدلالة.

و لمعرفة ما يجب على الإنسان فعله لبلوغ السعادة تكلم الفلاسفة على طبيعة الوجدان، و الضمير، و طبيعة الخير و العدل و الواجب و المحبة و بنوا جميع المفاهيم الخلقية التي تصورها على الأسس المستمدة من مبادئهم الفلسفية العامة. [3]

و من هذه المفاهيم نصل إلى أنه لا يوجد اختلاف بين علم الأخلاق و فلسفة الأخلاق، لأن كلهما يهتم في الأخير بالسلوك البشري فقسموه علماء الأخلاق إلى قسمين، الأفعال العليا أو الفضائل دون غيرها من السلوكيات السلبية أو الرذائل، و بمعنى أخر مهما اختلاف الدارسين في تحديد مفهوم موحد لمصطلح الأخلاق إلا أنهم اتفقوا في اهتمامهم في دراسة سلوك الإنسان.

[1] أندريه لالاند، موسوعة الفلسفية تر: خليل أحمد خليل، (باريس، منشورات عويدات، ط2، 2001)، ص 839.
*أفلاطون هو أعظم فلاسفة في العصور القديمة، و ربما في الأزمنة قانطة و لد بعد و فاتيركليس نحو عام 427،ق.م من أسرة أرستقراطية(أثنية) و هو صاحب نظرية المثل توفي في عام 347،ق.م،(جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، مرجع سابق،ص 71.).

[2] جميل صليبا، معجم الفلسفة، مرجع سابق، ص 50.
[3] المرجعنفسه، ص 50.

المطلب الثاني: المذاهب الأخلاقية:

تعددت المذاهب الأخلاقية في طبيعتها و تنوعت في غايتها، حيث تراوحت بين السعادة الفردية " الشخصية" و مذهب السعادة "العامة" أو المنفعة، و غيرها من المذاهب الأخرى، و بما أن أرسطو قد أسس مذهبا أخلاقيا، فقد تطرقنا لمذهب السعادة و فصلنا فيه من أجل تحديد انتماء الأخلاق النيقوماخية و تحديد غايتها.

<<لما بحث العلماء في مقياس الخير و الشر بحثا علميا ذهب كثير منهم إلى أن هذا المقياس هو السعادة، و قالوا إن السعادة هي الغاية الأخيرة للحياة، و التي تحرك جميع الناس للعمل، فإذا حلّلت عمل كل إنسان رأيت أنه يطلب بعلمه السعادة، و هي كلمة غامضة يعني بها أصحابها تحصيل اللذة و تجنب الألم>>[1]؛ و بتعبير أخر أن لكل فعل إنساني هدفا و هو بلوغ السعادة التي يظفر بها الألم و يكتسب بها السعادة.

و على هذا الأساس يقسم مذهب السعادة إلى قسمين الأول مذهب السعادة الشخصية، و الثاني مذهب السعادة العامة أو المنفعة.

ففي مذهب السعادة الشخصية و هو المذهب القائل إن الإنسان ينبغي أن يطلب أكبر لذة لشخصه، و يجب أن يوجه أعماله للحصول عليها، فعلى هذا المذهب إذا تردد إنسان بين عملين، و تردد في عمل أيعلمه أم يتركه، فليحسب ما فيه من اللذائذ و الآلام شخصه و يوازن بينها، فما، رجحت لذائذه فخير، و ينبغي فعله، و ما رجحت آلامه فشر ينبغي تركه، و ما تساوت فيه اللذائذ و الآلام كان فيه مخيرا و قال أصحاب هذا المذهب" إن كل إنسان يجب أن يبحث وراء

[1] أحمد أمين، كتاب الأخلاق،(القاهرة، دار الكتب المصرية ط3، 1931)، ص33.

لذائده هو و سعادته، و يعمل ما يوصله إلى ذلك، و العمل الذي يوصل إلى تلك الغاية يكون خيرا، ومن أكبر زعماء هذا المذهب في العصور القديمة **أبيقور***[1].

يتضح لنا من خلال هذا المذهب أنهم ينشدون السعادة الفرد و السماح له بأخذ سبل مختلفة من أجل الوصول إلى غايته، دون مراعاة صحة أو خطأ الوسيلة المستخدمة في ابتغاء الخير، و نستخلص أيضا بأن هذا المذهب يقرّ بمبدأ الاعتدال في اللذات و الألم، و هذا أمر طبيعي لأن معظم الأخلاق اليونانية تمتاز بمبدأ الاعتدال، كما سبق الإشارة إليه.

و يرى المذهب الثاني أنّ السعادة العامة ما:<< ينبغي أن يطلبه الإنسان في الحياة ليس سعادته الشخصية، و إنما ينبغي أن يطلب أكبر سعادة للناس بل لكل حساس.>>[2] و يعني أن عندما نريد أن نحكم على عمل بأنه خير أو شر يجب أن ننظر فيما ينتجه العمل من اللذائذ و الآلام لا للعامل نفسه، بل لكل الناس بل و لكل حيوان يتلذذ أو يتألم من هذا العمل أي أنه ينادي بسعادة الجميع يجب أن تكون مطمح نظر كل إنسان، لا سعادته هو وحده.[3]

يقر أصحاب هذا المذهب بالسعادة الفرد مع مراعاة سعادة لأفراد الآخرين في مجتمع بل و حتى كل كائن حي.

لقد أسس أرسطو مذهب في الأخلاق، الذي تتمثل طبيعته في أخلاق السعادة، و من خلال ما سبق يمكننا القول أن أرسطو يجمع في مذهبه بين السعادة العامة و سعادة الشخصية ، و قد أورد في "**كتاب السياسة**" عن الخير الحقيقي فقال:<< إن الخير الحقيقي بأن يحب حتى ولو كان

[1] ا المرجع نفسه، ص36.

* فيلسوف يوناني عاش من سنة 341-270 ق.م و قد أسس مدرسة في أثينا سنة 306 ق.م يعلم فيها مذهبه و استمرت أكثر من ستة قرون.(المرجع نفسه)، ص36.

[2] أحمد أمين، كتاب الأخلاق ،مرجع سابق، ص 42.

[3] المرجع نفسه، ص42.

لكائن واحد، و لكنه مع ذلك أجمل و أقدس متى كان ينطبق على أمة بأسرها،و متى كان ينطبق على ممالك بتمامها.>>[1]

يتضح من خلال النص أن أرسطو يحاول الجمع في مذهبه الأخلاقي و الذي تتمثل طبيعته في أخلاق السعادة بين سعادة الجماعة و سعادة الفرد أي سعادة العامة و السعادة الشخصية، و لكنه يميل في بحثه الأخلاقي إلى السعادة العامة أكثر من السعادة الفردية و هذا حسب ما أورده في كتاب السياسة.

[1]أرسطو، السياسة، تر: أحمد لطفي السيد،(مصر، دار القومية لطباعة و النشر، د.ط، د.ت)،ص 172.

المبحث الثاني: تأثير أراء الفلاسفة السابقين على الفكر الأخلاقي الأرسطي:

إن الاهتمام بالسلوك الأخلاقي للإنسان لم يقتصر على حضارة معينة بل لم يقتصر على فيلسوف معين، فقد تعدد الدارسين في ذلك و اختلفت نظرتهم في الحياة، فأذى هذا الاختلاف إلى تعدد صور و أشكال السلوك الفعلي للإنسان من شخص لآخر، و عليه سوف نقتصر في دراساتنا على صور محدد من صور الأخلاق و هي الأخلاق الصوفية، المادية، العقلانية، المثالية، باعتبارها جذورا تأصلية للفكر الأخلاق الأرسطية، فما هو أثر الفلسفات الأخلاقية السابقة على الفكر الأخلاق عند أرسطو؟

المطلب الأول: الآراء الأخلاقية الفيثاغورية و تأثيرها في الفكر الأخلاقي الأرسطي.

كانت الجماعة الفيثاغورية، جماعة دينية أخلاقية، حاول أصحابها أن يبتعدوا عن الحياة المضطربة التي كانت تحياها بلد اليونان إبان ذلك العصر. لكن هذا الطابع الأخلاقي العملي لم يكن هو الطابع الذي ساد تفكيرهم العلمي، بل الأحرى أن يقال إن تفكيرهم العلمي هو الذي طبع تفكيرهم الأخلاقي، و أنهم بدئوا بالعلم كي ينتهوا إلى الأخلاق[1]، و عليه يمكن القول:

<< لم تكن المدرسة الفيثاغورية مدرسة فلسفية فحسب بل كانت إلى جانب هذا ، أو قبل كل هذا مدرسة دينية أخلاقية على نظام الطرق الصوفية.فإلى جانب المبادئ الفلسفية التي قالت بها هذه المدرسة، توجد مبادئ صوفية و مذاهب متصلة بالزهدو العبادة.>>[2]

[1]– عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، ج1، (بيروت،المؤسسة العربية للدراسات و النشر،ج1 ، ط1، 1984)، ص232.

[2] – عبد الرحمن بدوي،موسوعة الفلسفة،ج1،مرجع سابق، ص228.

يبدو بأن المدرسة الفيثاغورية كانت تهتم بالفلسفة كما اهتمت أيضا بالجانب الديني الأخلاقي ـ بمعني أنها ازدواجية النشاط ـ و كان ذلك وفق نظام صوفي معين،أي امتازت بطابع علمي من الناحية الفلسفية، و ديني أخلاقي من الناحية العملية (الممارسة).

لذلك يجب على مؤرخ الفلسفة التميز بين المذاهب الفلسفية الخالصة في هذه المدرسة،و بين مذاهبها الدينية و الأخلاقية؛ خصوصا و قد أفضى عدم التفرقة بكثير من المؤرخين إلى الخلط و التناقض في فهم مذهب الفيثاغوريين؛ فلنحاول الآن أن نتعرض للأقوال الأخلاقية الدينية الخالصة ، صارفين النظر عن الأقوال الفلسفية الخالصة.[1]

يؤكد أحد الباحثين بأن الجماعة الفيثاغورية تتميز بطابع ديني أخلاقي قائم على التحريمو الامتناع عن تناول ألوان معينة من الطعام حيث يقول:<< أن الآراء الأخلاقية الفيثاغورية هي آراء ذات طابع ديني و زاهد. لقد أصروا على التطهير الكامل للحياة في أعضاء الطائفة،و أصروا على الامتناع عن تناول اللحوم و لقد حرموا أكل البقول و ارتدوا زيا خاص بهم .>>[2]

نستنتج من خلال ما سابق، أن الأخلاق الفيثاغورية هي عبارة عن سلوك قائم على التطهير الكامل للحياة و عن الامتناع و تحريم ألوان معينة من الطعام كأكل اللحم، بمعني أن الجماعة

[1] عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، مرجع سابق، ص228.

[2] ولتر ستيس،تاريخ الفلسفة اليونانية ،(تر)،مجاهد عبد المنعم ،(القاهرة، دار الثقافة للنشر و التوزيع،د.ط ،1984)،ص38 .

الفيثاغورية ليست نباتية في الغداء بالكامل لأن من أهم قواعد هذه المدرسة هو الامتناع عن أكل الفول و هذا الأخير هو نوع من أنواع النباتات .[1]

كانت الفيثاغورية تسلك نهجا أخلاقيا عمليا يهدف إلى غاية معينة و هي تطهير النفس، بمعنى أنهم: <<سلكوا إلى طهارة النفس سبل قد تبدو عجيبة أول مرة، و قد يظهر عليها أنها لا يربطها بالغرض الذي يرمون إليه علاقة أو صلة ،و لكنها في الواقع سبيل مؤدية إلى الغاية المقصودة.>>[2]

يلاحظ بأن الفيثاغوريين يسعونا لتطهير النفس متبعين في ذلك طرق عجيبة و تكون عن طريق الممارسة العملية ،و لكن ما نستنتجه من هذا النص بأنهم أيضا كانوا غائيين في ممارستهم الدينية الأخلاقية .

لقد تبينا لنا من خلال ما سبق أن الفيثاغوريين كانوا غائيين في ممارستهم العجيبة، و في المقابل نجد الأخلاق الأرسطية هي أخلاق عملية غائية ، فقد تكلم أرسطو عن طبيعة الخير الفيثاغوريةفقال :<< إن مذهب الفيثاغورثيين في طبيعة الخير يظهر لي أكثر قبولا ،إذ يضعون الوحدة في السلسلة المرتبة التي فيها يضعون الخير أيضا>>.[3]

يصرح أرسطو بتقبله لطبيعة الخير عند الفيثاغوريين، و بما أنهم كانوا غائيين في سلوكهم الأخلاقي، و أرسطو كذلك فنستطيع القول أنه تأثر بهم، و يظهر ذلك من خلال النص السابق،

[1] بتراند راسل ، تاريخ الفلسفة الغربية ،(تر)،زكي نجيب محمود ،(القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ج1، د.ط،2010)،ص 72.

[2] زكي نجيب محمود، و أحمد أمين، قصة الفلسفة اليونانية، (القاهرة، دار الكتب المصرية، ط2، 1935)، ص31.

[3] – أرسطو ، علم الأخلاق إلى نيقوماخوس، (تر)،أحمد لطفي السيد ، (القاهرة، دار الكتب المصرية ،ج1،ط2، 1964)،ص 184.

فموقف أرسطو من الآراء الأخلاقية الفيثاغورية لم يكن موقف نقدي بل تقبل مذهبهم في طبيعة الخير.

ضف إل ذلك أن أرسطو يرى الإنسان الشرير يسلك طرق متنوعة لقيام الشرو الإنسان الخير له طريقا واحدا مستندا في بحثه على أقوال الفيثاغوريين فقال أيضا:<< يمكن أن يسئ الإنسان السلوك بألف طريقة مختلفة، لأن الشر هو من اللانهائي كما مثله الفيثاغورثيون، و لكن الخير هو من المتناهي مادام أنه لا يمكن حسن السلوك إلا بطريقة واحدة.>>[1]؛ و عليه يمكننا القول أن أرسطو اتخذّ موقف القبول في الأخلاق الفيثاغورية متأثرا بطبيعة الخير و الشر عندهم.

المطلب الثاني: الآراء الأخلاقية السفسطائية و أثرها في فكر الأخلاقي الأرسطي.

إن الانتقال في الفلسفة اليونانية من طور الفكر الطبيعي إلى طور الفلسفة الإنسانية قد بدأ مع **السفسطائيين(sophistique)*** فكانت فلسفتهم فلسفة إنسانية خالصة تهتم بدراسة الإنسان ليس بوصفه عقلا جامدا ، بل كإرادة فاعلة حرة تسعى إلى إثبات ذاتها و نجاحها في كافة المجالات العملية ، وقد جاءت فلسفتهم تعبيرا قوي عن النزعة الفردية و تأكيد على الحرية الإنسانية ، و امتدت هذه الحرية عندهم لتشمل الدين و السياسة و الفنون و الأخلاق.[2]

---

[1] أرسطو، علم الأحلاق إلى نيقوماخوس، مصدر، ص247.

[2] عمار عوادي، فلسفة الإغريق، (عمان، مكتبة المجتمع العربي، ط1، 2016)، ص36.

* تعني جملة مذاهب، أو بكلام أدق موقف عقلي مشترك بين كبار السفسطائيين الإغريق(بروتاغوراس، غورجياس، بروديكوس، هيبياس...)، و بمعنى آخر يقال على فلسفة استدلالية لفظية، تفتقر إلى المتانة و الجدية.(أندريه لالاند، موسوعة الفلسفة، تعريب خليل أحمد خليل،بيروت، منشورات عويدات، م A-G ،ط2، 2001،ص273.)

*-سفسطائي يوناني نحو"_(485.411)ق.م كان صاحب مذهب حسي و نسبي و عارض فكرة الحقيقة المطلقة بتعدد الآراء ووجهات النظر صاحب القول المشهور الإنسان مقياس الأشياء جميعا.(جورج طربيشي، معجم الفلاسفة، مرجع سابق،ص 170).

امتازت الحركة السفسطائية بالفطنة و الذكاء و بقوة الكلمة حيث يقع الناس في مغالطات بسب حججهم و يكون ذلك من أجل مصالحهم الخاصة، فضلا عن تعليم الناس العلم مقابل أجر أي التجارة بالعلم، و في المقابل نجد سقراط و الذي امتاز بالفطنة و الوعي العقلي فقد تصد لهذه الحركة السفسطائية رافضا أسلوبها في الحياة،و قد تبعه في ذلك كل من أفلاطون و أرسطو، و قد ورد في إحدى محاورات أفلاطون ،الحوار القائم بين "أبقراط"- الذي أراد أن يتعلم عند "**بروتاجوراس**"***PROTJORAS** كبير السفسطائيين و معلم الفضيلة و الذي رفض تعليمه إلا بعد إعطائه أجر مقابل ذلك –و"سقراط" الذي يرفض سلوك بروتاجوراس فقال سقراط :

<< ماذا بك ؟ هل أساء إليك بروتاجوراس ؟ >> ،فضحك و قال : << نعم و حق الآلهة يا سقراط . لأنه و حده العالم و لا يجعلني أصبح مثله >> فقلت:<< و لكن إذا أعطيته نقوداو أقنعته فانه سيجعل منك أنت أيضا عالما و حق الآلهة>>.[1]

يبدو أن سقراط يحاول إبرازا موقف المجتمع اليوناني من السفسطائيين، و يكون ذلك من خلال شخصية أبقراط هذا من جهة ،و من جهة أخرى يحاول التأكيد على سوء سلوك الرجل السفسطائي لإمساكه أجر مقابل التعليم، و يعني هذا من الناحية الأخلاقية استغلال الناس من أجل المصلحة الخاصة ، و لا يعد هذا أمر أخلاقيا .

و على هذا الأساس يمكن القول بأن الفكر اليوناني مر بمرحلة من التصادم الفكري بين

[1] أفلاطون ، في السفسطائيين و التربية ، محاورة بروتاجوراس ، (تر) عزت القرني ، (القاهرة، دار قباء ، د.ط ،2001)، ص65.

متصارعين مختلفين في مبادئ التفكير، و في نظرته لطريقة الحياة في المجتمع اليوناني.[1]

و بمعنى آخر نقول أن:

<< هذه التصادمية الفكرية أدت إلى إنتاجية جزء كبير من الإرث الفلسفي لدي التيارات المتصارعة ، و قد تطورت هذه الإنتاجية من مرحلة الدحض و المواجهة إلى مرحلة التركيز و التفكير الفلسفي و تعميمه و تطويره.>>[2]

تبينا لنا أن هناك تعارضات كثيرة وقعت بين التيارات المتنافسة أو المتصارعة في تاريخ الفلسفة و هو أمر طبيعي بالنسبة لصاحب النص الذي يري أيضا،أن تلك التعارضات قد أدت إلى دحض بعضها البعض ، و من ثم فإن ذلك التعارض لدى التيارات ،هو الذي أوصل التفكير الفلسفي إلى مرحلة إيجابية ، تتمثل في تطور مسار التفكيرفي الفلسفة بوجه عام .

أمّ عن الآراء الأخلاقية بالنسبة للحركة السفسطائية كانت مكتسبة و كانت تسعى إلى البحث عن سعادة الفرد، و قد تكلم عن هذا أحد الباحثين فقال:

<< أما في الأخلاق فقد انصرفت عنايتهم إلى البحث عن سعادة الفرد و تدعيم كيانه و السعي إلى تحقيق النجاح في الحياة العملية، كذلك فقد ترتب على نزعتهم الفردية في التربية تقديم أهمية الاكتساب على الفطرة الموروثة، فالفضيلة عندهم مكتسبة و المعرفة بدورها مكتسبة و مرجعهما في النهاية إلى قدرة الفرد على التعلم.>>[3]

---

[1] كلود يونان ،التضليل الكلامي و آليات السيطرة على الرأي،(بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات ،د.ط،2009)، ص25.

[2] المرجع نفسه،ص25.

[3] أميرة حلمي مطر، الفلسفة اليونانية تاريخها و مشكلاتها، (القاهرة، دار القباء، د.ط، 1998)، ص119.

نستنتج من خلال ما سبق أن الأخلاق السفسطائية كانت تهدف لإسعاد الفرد، كما نرى أيضا بأنها أخلاق مكتسبة، و يعني هذا بأن الفرد و حده قادر على اكتساب الفضيلة و يكون ذلك عن طريق الممارسة العملية.

إن موقف أرسطو في دراسته للفضيلة، يبدو موقفه مشابه لموقف السفسطائيين إذ قال أن: << السعادة هي بوجه ما ممكنة المنال لنا جميعا ، لأن من الممكن لكل إنسان أن يصل إلى السعادة بدراسة ما و بعنايات ملائمة ، إلا أن تكون الطبيعة قد صيرته تماما غير أهل لأية فضيلة .>>[1]

يحاول أرسطو التأكيد على اكتساب الفضيلة و يكون ذلك عن طريق البحث عليها أو بتعليمها، كما نلاحظ أيضا أنه لا يفرق بين الفضيلة و السعادة.

و لقد و صف السفسطائيون على أنهم معلموا الفضيلة و ولكن يجب أن نشير إلى أن كلمة الفضيلة في ذلك الحين لم يقصد بها المعني الأخلاقي الذي تدل عليه الآن، بل عبر بها عن مقدرة الشخص على أداء وظيفة في الدولة بكفاية و نجاح.[2]

اشتهر السفسطائيين بنسبية الأخلاق، و يرجع ذلك لمقولتهم الشهيرة التي تمجد و تنادي بالحرية الإنسانية ، كما نجدهم أيضا من الناحية الدينية ينبذون المعتقدات الدنية القديمة، و يؤكد في هذا أحد المؤرخين الفلسفة، فرأى بأن الانتقال من ميدان الدين إلى ميدان الأخلاق و السياسة باعتبارها الجانب العملي في الأخلاق فوجد أن :<<السوفسطائيين قد جالوا جولة طويلة في هذا

[1] أرسطو ، علم الأخلاق إلى نيقو ماخوس ،مصدر سابق، ص 204.

[2] زكي نجيب محمود، أحمد أمين، قصة الفلسفة اليونانية، مرجع سابق، ص95.

الميدان . و الأساس في أقوالهم كلها في هذا الصدد يقوم على التفرقة بين الطبيعة و بين القانون. و قول "بروتاجوراس": إن الإنسان مقياس كل شيء.>>[1]

يتضح بأن الأقوال السفسطائية الأخلاقية قائمة على التفرقة بين الحتمية الطبيعية باعتبارها قيد للحرية الإنسانية، و بين القانون الذي يعدّ من صنع الإنسان.

تعد الفلسفة السفسطائية تعبير عن النزعة الفردية و يظهر ذلك من خلال تمجيدهم للحرية الإنسانية باعتبار الإنسان مقياس الأشياء جميعا و من خلال تفرقتهم بين الطبيعة و القانون؛ وبمعني آخر أن: << هذا القانون ليس قانون مفروضا من الخارج ، و إلا في ذلك قضاء على النزعة الفردية مع أنها النزعة الأساسية عند السوفسطائية. إنما هذا القانون هو ما يمليه الحس العام .>>[2]

يتضح أن هناك تأكيد على الحرية الإنسانية و التي تعبر عن النزعة الأساسية عند السفسطائيين كما يلاحظ من خلال كلمة قانون نوع من كبح للحرية الإنسانية لأن القانون يجب أن يخضع له الجميع[3].

يبدو من خلال ما سبق أن فلسفة السفسطائيين قائمة على الحرية الإنسانية، التي تأثر بها أرسطو، و قد ورد هذا في كتابات أحد الباحثين فقال:

[1] عبد الرحمن بدوي، ربيع الفكر اليوناني، (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط3، 1942)، ص173.

[2] المرجع نفسه ،ص 174.

[3] عبد الرحمن بدوي، ربيع الفكر اليوناني، مرجع سابق ، ص 174.

<< لقد آمن أرسطو بالحرية الإنسانية إيمانا راسخا جعله يؤكد على بناء شخصيتنا في هذه الحياة واحدا من الأشياء التي تكون في متناول استطاعتنا، فنحن مسئولون عن نوع الشخصية التي نصير إليها في رأيه. وكذلك عن الفضيلة أو الرذيلة التي نفعلها،و من ثم يوصينا أرسطو من هذا المنطلق بأن نتبع الوسط في كل أفعالنا لنفوز بهذه السعادة في الحياة .>>[1]

يظهر من خلال ما سبق بأن أرسطو متأثر بالحركة السفسطائية ويبرز ذلك في اهتمامهم بالحرية الإنسانية،و نستخلص من كل هذا أثر السفسطائيين في الأخلاق الأرسطية

و الذي تأثر بهم في عدة جوانب منها الحرية الإنسانية، و لكن هذا لا يعني أنه لم يقم بنقدهم أو مهاجمتهم، بل اتبعا في ذلك منهج معلمه أفلاطون، فرأى بأنهم ليس أهل ليشأ فقال :

<< السفسطائيون الذين يعجون عجيبا بعلمهم المزعوم بعيدون كل البعد عن أن يعلموا السياسة. إنهم لا يعلمون حق العلم ما هي و لا بماذا تشتغل . و لو علموا لما خلطوا بينها و بين الخطابة و لما أسقطوها على الخصوص تحتها.>>[2]

نستنتج أن أرسطو يرفض طريقة السفسطائيين في تعليم الناس،لأنه يراهم غير مختصين في ذلك- وعلى هذا الأساس يمكن القول بأنه اتبع منهج معلمه أفلاطون- و كانت حجته بأنهم لا يفرقون بين السياسة والتي تعد الجانب العملي في الأخلاق والخطابة التي تعتبر الجانب العملي للمنطق،و من هنا يظهر لنا موقفه النقدي الذي تبناه أرسطو في رفضه لطريقة التعليم السفسطائيين،و عليه فإنه متأثر بالسفسطائيين رفضا و قبولا في الآن نفسه.

[1] عمار عوادي، فلسفة الإغريق،مرجع سابق، ص41.

[2] أرسطو، علم الأخلاق إلى نيقوماخوس ،ج 2، مصدر سابق، ص 374.

المطلب الثالث: الآراء الأخلاقية عند سقراط و أثرها في الفكر الأخلاقي الأرسطي.

لقد كان من أثار السفسطائيين على المجتمع اليوناني هو سقوط الأنظمة التي كانت سائدة في ذلك الوقت، و تهدم مكان للناس من مثل يسعونا إليها، سواء في ذلك الأخلاق و الذين والحقيقة و القانون، فكانت النتيجة أنه كل فرد ذهب في إدراك الفضيلة و الرذيلة و تفسير الخير و الشر مذهبا يناسب هواه و يتفق مآربه[1]، فجاء سقراط الذي حاول تصليح مازرعته السفسطائية في أذهان شباب المجتمع اليوناني ، فقد تصدا لهم بمواجهة واعية، و اهتم بالإنسان و كان موضوع فلسفته و بمعنى آخر أنه:

<< أثر النظر في الإنسان و انحصرت الفلسفة عنده في دائرة الأخلاق باعتبارها أهم ما يهم الإنسان.>>[2]

نلاحظ بأن اهتمام سقراط كان منصبا على الإنسان و كل ما يهم الإنسان من أخلاق و غيرها من مختلف الجوانب التي تخص الإنسان بوجه عام.

اعتقد سقراط بأن الإنسان يهدف لاكتساب الخير دائما و يهرب من الشر، و بمعنى أخر أن:

<<الإنسان يريد الخير دائما يهرب من الشر بالضرورة، فمن تبينت ماهيته و عرف خيره بما هو إنسان أرده حتما، أما الشهواني فرجل جهل نفسه و خيره و لا يعقل أنه يرتكب الشر عمدا، و على ذلك فالفضيلة علم و الرذيلة جهل.>>[3]

[1] زكي نجيب محمود ، أحمد أمين، قصة الفلسفة اليونانية،مرجع سابق، ص 115.

[2] يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانية ،(الجامعة المصرية، لجنة التأليف و الترجمة و النشر ،د.ط ،د.ت) ص67.

[3] يوسف كرم ،تاريخ الفلسفة اليونانية، مرجع سابق، ص 68.

يتبين موقف سقراط من الطبيعة الإنسانية، بأنها خيرة تسعى لاكتساب الخير و تتجنب فعل شر، و إن فعلت هذا الأخير يكون ذلك غير متعمدا ناتجا عن جهل الإنسان، و على هذا الأساس ربط الفضيلة التي تعني الخير بالعلم و الرذيلة التي تعني الشر بالجهل .

ذهب السفسطائيين إلى أن الأخلاق نسبية خاضعة للنزعة الفردية أي أن الفضيلة عندهم ليست واحدة بل متعددة ، فحاول سقراط إبطال ما ذهب إليه ، محاولا إثبات طبيعة الفضيلة بأنها واحدة فقال في محاورة مينون*على لسان أفلاطون :

<< سقراط:...بحق الآلهة ، يا مينون ،ماذا أنت قائل عما تكون الفضيلة ؟..

مينون: ... إن هناك فضيلة لكل منا ، بإزاء كل عمل من الأعمال،و بحسب كل نوع من أنواع النشاط و كل عمر.و الأمر كذلك أيضا، فيما أعتقد، يا سقراط،مع الرذيلة.

سقراط: ما أعظم الحظ الذي يقع علي يا مينون : فقد كنت أبحث عن فضيلة واحدة، و إذا بي أمام خلية من الفضائل تسكن عندك...>>[1]

نستنتج أن سقراط يحاول أن يستدرج مينون في الكلام لمعرفة طبيعة الفضيلة عندهم، و يكون هذا من أجل التأكيد على تعدد الفضائل عند السفسطائيين.

حاول سقراط أن يهدم ما ذهبت إليه الآراء السفسطائية بقوله أن الأخلاق ثابتة و غير متعددة، فربط نظريته الأخلاقية بالعلم قائلا حسب الحوار الذي قام بينه و بين مينون في تعريف الفضيلة بأنها:

[1]أفلاطون،في الفضيلة (محاورة مينون)،(تر) عزت قرني،(القاهرة، دار قباء، د.ط، 2001)، ص 75.

<<مينون:... التمتع بالجميل من الأشياء و امتلاك القدرة >>، فعلى غراره أقول أن الفضيلة هي الرغبة في الأشياء الجميلة و أن يكون المرء قادرا على الحصول عليها...

سقراط: ادن فبعض الناس يرغب في الأشياء السيئة .

مينون: نعم

سقراط: هل هؤلاء ، فيما تقول ، يعتقدون أن الأشياء السيئة حسنة ، أم أنهم يعلمون أنها سيئة و مع ذلك فإنهم يرغبون فيها؟...>>[1]

نستخلص بأن سقراط يلمح لنظريته في الأخلاق التي يربطها بنظريته في المعرفة .

و يري أحد الدارسين بأن نزعة سقراط العقلية هي التي أمليت عليه نظريته الأخلاقية فقال إن:<< نزعة سقراط العقلية المتطرفة هي التي أملت عليه القول بأن فهم طبيعة الخير شرط ضروري لممارسة حياة الفضيلة >>.[2]

يقصد من قوله هذا بأن سقراط وضع شرط لفهم طبيعة الخير الذي به تتم الحياة العملية الأخلاقية وهو النظرة العقلية، و عليه يستوجب علينا معرفة الخير و الشر لأنه يربط الفضيلة بالمعرفة و الرذيلة بالجهل.

و بالعودة إلى أرسطو نجده يتكلم عن طبيعة الفضيلة فقسمه إلى مكتسبة و طبيعية أو غريزية فقال أن:

[1] أفلاطون، في الفضيلة، مرجع سابق، ص94.

[2] زكارياء إبراهيم، المشكلة الخلقية 6،(مصر، دار مصر للطباعة و النشر ،د.ط، د.ت) 48.

<<جميع الفضائل العقلية ليست في حقيقة الأمر إلا أنواعا مختلفة من التدبير. و لقد كان سقراط في تحاليله محقا بالجزء مبطلا بالجزء، فقد انخدع إذ ظن أن جميع الفضائل ليست إلا نوعا مختلفة للتدبير و لكن كان محقا في قوله أنها لا توجد بدون التدبير و التبصر. و الذي يثبت هذا هو أنه متى أريد اليوم تعريف الفضيلة بأن يقال إنها عادة خلقية لا يتأخر عن أن يزاد على ذلك ما هو متعلق هذه العادة أي المطابقة للعقل المستقيم.>>[1]

و تطرق أيضا إلى نقد سقراط في قوله أن الرذيلة ليست البتة إلا نتيجة الجهل

يبدو أن أرسطو يلمّح في اعتقادنا إلى نظرية المعرفة و ارتباطها بالفضيلة التي يعتقد بها سقراط ، أي أنه يرجع الأفعال الشريرة إلى جهل المرء و عليه فهي تكون خارج إرادة الإنسان .

و يتكلم عن هذا أيضا فيقول بخصوص الجهل للأفعال الشريرة الصادرة عن الإنسان فرأى بأن كل:

<< إنسان شرير يجهل ماذا يلزم فعله و ماذا يليق اجتنابه . لأنه بغلطة من هذا النوع يرتكب الناس المظالم و بعبارة أعم يكون أرذالا.>>[2]

و عليه نستخلص بأن أرسطو يشير إلى سعي لمحاولة معرفة الخطأ و اجتنابه لأنه يجعل من الإنسان شرير بارتكابه الرذيلة.

[1] أرسطو، علم الأخلاق إلى نيقوماخوس، ج2، مصدر سابق،ص 270.

[2] المصدر نفسه، ص 271.

يبدو لنا من خلال ما سبق بأن أرسطو ينقد سقراط في نظريته الأخلاقية التي ربطها بالمعرفة في جزئية و يوافقه في أخرى و عليه نصل إلى نتيجة بأن أرسطو قد تأثر بأفكار سقراط و عليه يمكن عد سقراط مصدر من مصادر فكر أرسطو بوجه عام و الأخلاقي بوجه خاص.

المطلب الرابع: الآراء الأخلاقية الأفلاطونية و أثرها في الفكر الأرسطي .

تابع أفلاطون منهج معلمه سقراط في مواجهة الأخلاق السفسطائية فحارب النزعة الفردية عندهم و بين بأن الفضيلة لا تقابل اللذة هذا من الجانب النقدي عند أفلاطون، و نلاحظ أيضا بأن الأخلاق و السياسة مرتبطان عنده،و يبدو هذا واضحا في أهم محاوراته، و هي "الجمهورية"، حيث إن جميع الموضوعات التي تندرج في نفس الوقت في باب الأخلاق و لعل أبرز هذه الموضوعات موضوع العدالة الذي ينتمي إلى علم الأخلاق بقدر ما ينتمي إلى السياسة[1]، كما نلاحظ أيضا بأن المبحث الأخلاقي الأفلاطوني ذا ارتباط وثيق بمباحث فلسفته الأخرى، فإننا نجد ارتباط هذا المبحث مع النفس الإنسانية و أقسامها فضلا عن تداخل هذا المبحث مع الجانب الإلهي من فلسفته .[2]

تكلم أحد الباحثين عن الأخلاق الأفلاطونية فرأى بأنها تنقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسية وهي:

[1]أحمد شمس الدين، أفلاطون،(بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1990)، ص 113.

[2]حسين حمزة،الأخلاق في الفكر الأفلاطوني الفلسفي،(جامعة الكوفة، كلية الآداب، قسم فلسفة،العدد العاشر،2008)، ص1.

<< البحث في الأخلاق يتجه أولا إلى البحث في الخير الأسمى، و يتجه ثانيا إلى البحث في تحقيق هذا الخير الأسمى في جزئياته ، و ذلك عن طريق الفضائل، و هو ما يتحقق بالنسبة للأفراد، و ثالث يتجه البحث الأخلاقي إلى تحقيق الخير في الدولة، أي البحث في السياسة.>>[1]

نستخلص بأن الأخلاق الأفلاطونية ركزت في بحثها على ثلاثة أقسام، و هي الخير الأسمى، و الفضائل و تعني أخلاق الفرد، و السياسة وتعني أخلاق الدولة .

لقد أشرنا فيما سبق بأن الأخلاق الأفلاطونية لها ارتباط مع النفس الإنسانية و أقسامها؛ و لكن ما نلاحظه في" محاورة فيدون" بأن أفلاطون لم يبدأ بحثه بوضع تعريف للنفس، و– لن نجد تعريف للنفس، هنا و لا في أي محاورة أخرى من المحاورات–[2]؛ و عليه فقد استخلص الباحثون تعريف لطبيعة النفس حسب محاورة فيدون فوجد عدة تعريفات من ضمنها ما يلي :

<< فعالم الجسد هو عالم الجمال الخارجي و الزينة و اللذات و الحواس. و الفيلسوف الحق لا يهتم به و لا يقبل عليه، و إنما هو مشغول عنه و لا يهتم إلا بأمور النفس.>>[3]

يبدو بأن أفلاطون يحاول إعطائنا صورة عن طبيعة النفس ، من خلال تقسيمه للإنسان إلى جسد والذي يمثل الجانب الحسي و النفس التي تمثل العقل أو المعرفة أو الحكمة ، و عليه نستخلص من كل هذا بأن أفلاطون يميز بين نوعين من البشر، و هما العامي أو العادي و الذي يهتم بالأمور الحسية و الفيلسوف الذي يهتم بالمعرفة و البحث عن الحقيقة.

---

[1] عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، مرجع سابق، ص180.

[2] أفلاطون، محاورة فيدون،تر: عزت قرني، (القاهرة، دار قباء للطباعة و النشر، ط3، 2001)، ص26.

[3] المرجع نفسه ،ص 26.

ارتبطت نظرية الأخلاق عند سقراط بالمعرفة و عليه فإن طبيعة الفضيلة التي ناد بها واحدة ، ومن جهة أخرى أدلى سقراط بأخلاق معارضة للأخلاق الشعبية ، و لو أن أفلاطون ظل يتصل بهاتين المسألتين، فإننا نجده ينصرف شيئا فشيئا عن مذهب أستاذه ،و عليه قد جعل تفرقة بين الفضائل و في نفس الوقت لا ينكر الأخلاق الشعبية بل يقول بأنها مقدمة للأخلاق الفلسفية[1].

يقسم أفلاطون الفضائل على أساس تقسيمه للنفس إلى ثلاثة فضائل فقال :

<< الفضيلة الأولى تقابلها القوة الشهوية ،و مهمتها أن تكون في خدمة القوة العاقلة ، و ألا تندفع تبعا لهذا، و أن تستعين بالقوة الغضبية من أجل أن تحكم نفسها، و الفضيلة الثانية تقابلها الشجاعة و مهمتها تلبي الأوامر التي تصدر من القوة العليا، ثم تأتي القوة العليا مهمتها هي التميز بين أنواع الخير و تحقيق الخير الأسمى، أي مهمتها إذن أن تحكم ، ولذا تسمى الحكمة، و لكن هذه القوى المختلفة تجمعها وحدة تعلو عليها جميعا لكي يتحقق هذا الانسجام بين جميع الفضائل، فلا بد إذن من فضيلة العدالة و هي الرابعة.>>[2]

نستخلص من كل هذا بأن الفضائل الثلاث بينهم علاقة و هي العدالة التي تحقق الانسجام بين أجزاء النفس الإنسانية. و قد تكلم عن هذا أفلاطون في محاورة الجمهورية على لسان سقراط فقال:

[1] عبد الرحمن بدوي ، موسوعة الفلسفة ،مرجع سابق، ص 181.

[2] المرجع نفسه، ص 182.

<< ... يمكننا التسليم إذن، إن اعتناء الفرد بعمله الخاص، بشكل ما أو بآخر، هو العدل...>>[1].

و إذا انتقلنا من الفضائل، إلى الخير الأسمى عند أفلاطون نجد بأنه يعرفه بأعلى المثل، و يسمى بالخير الأعلى.[2] و هذا الخير الذي هو السعادة ينقسم بحسب الملكات النفسية و الذي تتمثل ماهيته في الخير الأسمى كما سبقت الإشارة، فنقول :

<<إن الوجود الحقيقي عند أفلاطون هو وجود الصور: فكل ما يتصل بهذا الوجود إذن هو وحده الوجود الحقيقي، أما ما يتعلق بالوجود المحسوس فلن يكون خيرا بالمعني الصحيح، و لهذا يميز بين أنواع من الخير...فالخير الأول هو الخير المناظر للصورة، و الخير الثاني تحقيق هذه الصورة في الموجودات الخارجية عن طريق الانسجام، و الخير الثالث هو تحقيق هذه الصورة عن طريق العلم الصحيح،... و أخيرا يأتي الخير الذي في المرتبة الدنيا و هو الخير بمعنى اللذة الخالية من الألم.>>[3]

يتضح بأنه يعرف الوجود عند أفلاطون و تقسيماته، و على هذا الأساس يمكن القول حسب رأينا بأنه يشير إلى "المثل العليا" التي تعتبر عند أفلاطون الوجود الحقيقي ،و الذي ندركه بالعقل لا الحس.

[1] أفلاطون، الجمهورية، تر: شوقي داود تحراز، (بيروت، الأهلية لنشر والتوزيع،ج1، (د.ط)،1994)، ص200.

[2] جميل صليبا ، المعجم الفلسفي، (بيروت، دار الكتاب اللبناني،ج1، د.ط ، 1978)، ص549.

[3] عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، مرجع سابق، ص180.

انتقد أرسطو أستاذه أفلاطون في نظرية المثل العليا و التي هي الخير الأسمى، فرأى بأن الخير يعني غاية كل فعل،[1] فقد تكلم عن نظرية المثل في كتاب علم الأخلاق إلى نيقوماخوس فقال:

<< ربما يكون ملائما أن ندرس الخير في معناه العام، فندرك إذن المعني العام المضبوط الذي يفهم من هذه الكلمة. و مع ذلك فإني لا أخفي أن بحثنا من هذا القبيل يمكن أن يكون بالنسبة لنا من الحرج بموضوع مادام أن مذهب ((المثل)) قد و ضعه أشخاص أعزاء علينا.>>[2]

نستخلص من خلال قول أرسطو بأنه يتكلم عن أستاذه أفلاطون، و أيضا يمهد لنقده لنظرية المثل عند أستاذه.

يري أرسطو بأن الخير ليس واحد فقال:

<< إن الذين أدخلوا هذا الرأي لم يفعلوا و لم يقبلوا ((مثلا)) للأشياء التي كانوا يميزون فيها رتبة للسابقة و اللاحقة، فنقول إلماعا: إن هذا هو الذي كان يمنعهم من أن يفترضوا ((مثلا)) للأعداد.فالخير مقول على السواء في مقولة الجوهر، و في مقولة الكيف، و في مقولة الإضافة>>[3]

يرى أرسطو بأن الخير ليس و احد بل متعدد، و قد أعطى في ذلك أمثلة على أنواع الخير. لذلك قام أرسطو بدحض الخير الأسمى عند أفلاطون فقال:

---

[1] جميل صليبا، معجم الفلسفة،ج1، مرجع سابق، ص549.

[2] أرسطو، علم الأخلاق إلى نيقوماخوس، ج1، مصدر سابق، ص171.

[3] المصدر نفسه، ص172.

<< إن المثل التي عمدنا إلى دحضها لا تنطبق على الخيرات من كل نوع، و إنها لا تختص إلا بنوع واحد من الخيرات، و هي تلك التي تبتغي و تحب و حدها، في حين أن الأشياء التي تنتج هذه الخيرات، أو التي تساعد على حفظها بأي وجه كان، أو ترصد ما هو ضد لها و تبيده لا تسمى خيرات إلا بسبب تلك و من جهة نظر أخرى.>>[1]

يلاحظ بأن أرسطو كان متأثر بفلسفة الأخلاق الأفلاطونية، و يكون ذلك بالقبول أو بالنقد و قد تطرقنا في بحثنا إلى الجانب النقدي و هو نقد أرسطو لنظرية المثل أو الخير الأسمى التي نادى بها أستاذه أفلاطون.

نستخلص من خلال دراستنا للفصل الأول الذي يحمل عنوان مصادر الفكر الأخلاقي عند أرسطو، بأنه قبل تأسيسه لمذهبيه الأخلاقي، فقد استخدم المنهج التاريخي و يكون ذلك من أجل العودة إلى آراء سابقيه، و أيضا استخدم المنهج النقدي حيث قام بالنقد أفكارهم الأخلاقية في بعض الجزئيات و من ثم قام بالتأسيس، و لكنه في بعض الجزئيات الأخر كان متأثرا بالقبول في دراسته للآراء السابقة الذكر، و على هذا الأساس نصل إلى نتيجة بأن لأرسطو جذور تأصيلية لفكره الأخلاقي.

[1] أرسطو، علم الأخلاق إلى نيقو ماخوس، ج1، مصدر سابق ص 175.

الفصل الثاني

المبحث الأول: نظريات الأخلاق من منظور أرسطي

المبحث الثاني: علاقة الأخلاق بالسياسة عند أرسطو

اهتمت الفلسفة اليونانية بفلسفة الأخلاق و هي أخلاق السعادة فتراوحت في طبيعتها بين الصوفية ، المادية ، العقلانية، المثالية و الواقعية التي تعبر عن الأخلاق الأرسطية في شقيها النظري و العملي، حيث تضمن مذهبه الأخلاقي نظريات عدة تتمثل في نظرية الخير و السعادة و نظرية الفضيلة والأخر في الشجاعة و الاعتدال و أيضا في الصداقة و نظرية في السعادة و اللذة و لكن في دراستنا هذه سوف نقتصر على ثلاثة النظريات الأولى نظرا لأهميتها في البحث الأخلاقي الأرسطي، محاولين تحليل أفكارها و معرفة أثرها في الواقع و هذا ما يقودنا إلى التساؤل التالي و هو فيما تتمثل أهمية النظريات الأخلاقية الأرسطية؟ و ما هي غايتها؟ و في ما يتمثل جانبها العملي "التطبيقي" في الواقع؟

المبحث الأول: نظريات الأخلاق من منظور أرسطي.

ثبتت الأخلاق عند أرسطو على جملة من المبادئ أو ما سمية بالنظريات و التي حاولت دراسة سلوك الإنسان من الناحية النظرية و هذا ما سنحاول التطرق إليه في هذه الجزئية من خلال ابرز أهم النظريات الأخلاقية الأرسطية، ففيما تتمثل؟

المطلب الأول: نظرية الخير و السعادة:

أولا: الخير الأسمى.

تناول أرسطو في كتابه "دعوة إلى الفلسفة" أهمية الفلسفة فضلا عن تساؤله عن الفضيلة و الخير و أكد بأنه لا يمكن أن يتحقق إلا عن طريق معرفة مطابقة له.[1] كما أنه ربط الأخلاق بالجانب النفسي للإنسان فقال في ما يخص الخير و السعادة بأن:<< السعادة في الحياة تقوم على الحالة النفسية الطيبة.>>[2]؛ و يعني أن الحالة النفسية هي التي تحدد سعادة الفرد أو تعاسته و يكون ذلك بالحياة الفاضلة.

و قال أيضا في ما يخص المنفعة الخاصة للإنسان أو النزعة الفردية التي تعود على صاحبها بالخير و النفع، بأن:<< امتلاك الخيرات الخارجية بغير مبادئ أخلاقية هو الشر

[1] – أرسطو، دعوة إلى الفلسفة،(تر) عبد الغفار مكاوى،(القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، د.ط ،1987)،ص 13.

[2] – المصدر نفسه، ص 15.

بعينه.>>[1]، و يعني هذا أن أرسطو أعطى أهمية كبيرة للأخلاق على الجانب المادي في الحياة الذي ربط مشروعيته بالجانب الأخلاقي ، و منه يظهر اهتمامه بالإنسان.

و أورد أيضا في كتابه "علم الأخلاق إلى نيقوماخوس"و الذي يعدّ أهم ما كتب في علم الأخلاق عن أهداف الأفعال الإنسانية، مؤكدًا في ذلك أن كل فعل إنساني يهدف إلى غاية ما، فطرح تساؤلا على ماهية الخير، و تطرق إلى تعريفه باعتباره الغاية المنشودة لكل سلوك إنساني فقال:

<< كل الفنون، و كل الأبحاث العقلية المرتبة و جميع أفعالنا، و جميع مقاصدنا الأخلاقية يظهر أن غرضها شيء من الخير ترغب في بلوغه. و هذا هو ما جعل تعريفهم للخير تاما إذ قالوا: إنه هو موضوع جميع الآمال.>>[2]

يتضح لنا أن أرسطو يشير إلى غاية السلوك الإنساني، و يعني أن وراء كل فعل إنساني غاية ما و هي الخير، الذي عرفه بأنه موضوع جميع الآمال، أي غاية كل فعل و عليه نستنتج حسب رأينا بأنه في تعريفه للخير متأثرا بالفلاسفة السابقين له.

لكن ما نعرفه بأن السلوك الإنساني كثير و متعدد، فإن الغايات التي يمكن أن تعُدّ خيراً سوف تكون هي الأخرى متعددة.[3] و من الانتقادات التي نوجهها لأرسطو في اعتقادنا أنه صرّح بتعدد سلوك البشر مؤكد بأن وراء كل فعل غاية ما و هي الخير، و لكن هناك سلوك و أفعال

[1] المصدر نفسه ،ص 15.

[2] أرسطو علم الأخلاق إلى نيقو ماخوس،ج1،مصدر سابق،ص167.

[3] إمام عبد الفتاح إمام، فلسفة الأخلاق،(القاهرة، دار الثقافة لنشر و التوزيع، د.ط ،1988)،ص102.

بشرية شرير غايتها تكون شريرة بالضرورة و ليست خيرة، و هذا ما يؤخذ على أرسطو في هذا الجانب.

لقد ميز أرسطو بين الأفعال و غايات الأفعال، فضلا عن إعطائه أمثلة كثيرة في تعدد الأعمال البشرية التي تختلف في غايتها فقال:<< الصحة هي الغرض من الطب، و السفينة الغرض من العمارة البحرية،والظّفر الغرض من العلم الحربي، والثروة الغرض من العلم الاقتصاد.>>[1]؛ يبدو أن أرسطو يوضح في تعدد الغايات البشرية، أي أن لكل فعل إنساني غاية ما.

و قد حدد أرسطو غرض أعمالنا النهائية الذي نسعى لذاته ، و الذي يعد غاية كل فعل إنساني بما أن الغايات فيه تكون متعددة أي:<< نجد أمامنا مجموعة كبيرة من الغايات تختلف باختلاف أنماط السلوك و ألوان المعارف،غير أن هذه الغايات الكثيرة يمكن... أن ترتب و تنظم بحيث يندرج بعضها تحت بعض، أو قل بحيث يكون بعض هذه الغايات و سائل إلى غايات أعلى.>>[2]

يتم التأكيد على القول الأرسطي في تعدد الغايات التي يمكن أن توصلنا إلى الغاية التي تطلب في ذاتها و بمعنى آخر أن الغايات المتعددة ليست هي الغاية الأخيرة التي تطلب لأجله بالتعبير الأفلاطوني،و إنّما هي وسيلة توصلنا لغاية أسمى و هي تحصيل السعادة.

[1] أرسطو، علم الأخلاق إلى نيقو ماخوس،ج1، مصدر سابق ،ص 169.

[2]إمام عبد الفتاح إمام، فلسفة الأخلاق، مرجع سابق، ص 104.

صنف أرسطو الخير إلى خيرات فقسمها إلى ثلاثة أنواع و هي خيرات خارجية، و خيرات النفس، و خيرات البدن، فان خيرات النفس هي في نظرنا تلك التي نسميها على الأخص و على الأفضل خيرات.[1]يعني أن خيرات البدن تتحقق في اللذة و خيرات خارجية تتحقق في الثروة و خيرات النفس هي الخير الأسمى، و تتحقق بالتأمل و التفكير.

نستخلص من هذا بأن أرسطو يؤكد على أهمية الفلسفة في اكتساب الفضيلة و لكنه لا يبعد الجانب المادي و النفسي في اكتساب الفضائل و تجنب الرذائل.

تعدُّ معرفة الخير الأسمى الذي تناشده الأخلاق الأرسطية بالغ الأهمية بالنسبة لحياتنا و سلوكنا في الحياة العملية و يجعلنا نسعى إليه على الدوام، أي أنه سيكون هدفا في أفعالنا الأخلاقية مثلنا في ذلك مثل من يريد أن يتعلم رمي السهام، فهو لا يرمي سهامه كيفما اتفق، لكنهم يضعون علامة مميزة تمكنه من إصابة الهدف، يضعون له شيئا يهدف إليه، و من هنا فقد مست الحاجة إلى البحث عن مفهوم هذا الخير الأقصى لكي يكون هدفا لنا نسعى للوصول إليه.[2]

و على هذا الأساس يعتقد أرسطو بأن:<< الخير الذي يجب أن نبحث عنه لأجله وحده هو أكثر نهائية من الذي يبحث عنه لأجل خير آخر.>>[3]

و بمعني أنه يفضل الخير الأقصى أو الخير في ذاته و ليس لشيء آخر و الذي يرى بأنه الخير الأسمى و الغاية القصوى.

[1] أرسطو، علم الأخلاق إلى نيقوماخوس،ج1، مصدر سابق، 198.

[2] إمام عبد الفتاح إمام، فلسفة الأخلاق، مرجع سابق، ص 106.

[3] أرسطو علم الأخلاق إلى نيقوماخوس،ج1، مصدر سابق، ص 190.

ثانيا: السعادة:

تمتاز الأخلاق اليونانية مهما تعددت الصور التي عرضت على أساسها بأنها أخلاق السعادة، وضعت قواعد يجب على السلوك الإنساني أن يسير وفقا لها، فتقول: << افعل هذا لأنه يؤدي إلى سعادتك.>>[1]

سبق القول بأن أرسطو بسيطا في أخلاقه، لأن تدريبه العلمي يبتعد به عن التبشير بمُثل عليا فوق مستوى البشر، و يقول "**سانتيانا***" (**santayana,ceorge**):<< إن إدراك الطبيعة البشرية في أرسطو صادق تماما.>>[2] و يفسر هذا واقعية أرسطو في الطبيعة البشرية أو في درسته لطبيعة البشرية.

تكلم أرسطو في بحثه عن طبيعة السعادة التي تعدُّ الغرض الأسمى للإنسان بنوعيه العامي مثله مثل الناس المستنيرة أي الإنسان الحكيم، فإنه يسمي هذا الخير السعادة، لكن انقسام الآراء فيها قائم على طبيعة السعادة و أصلها، رأى أن البعض يضعونها في الأشياء الظاهرة أي الحسية كالثروة، و البعض الآخر يضعونها موضعا آخر فضلا عن التعبير الشخصي في هذا الموضوع ،فالمريض يراه في الصحة و الفقير في الثروة[3]؛ و يعني هذا بأن لاكتساب السعادة طرق و وسائل مختلفة تختلف من فرد إلى آخر.

---

[1] عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، مرجع سابق، ص 122.

[2] ول ذيورَانت، قصة الفلسفة، مرجع سابق، ص 86.

*: فيلسوف إسباني ناطق بالإنكليزية. ولد في مدريد في 16 كانون الأول1863، و توفي في روما 26 أيلول 1952، و أول كتاب صدر له بعنوان حسن الجمال... (جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، مرجع سابق، ص 352.)

[3] أرسطو، علم الأخلاق، إلى نيقوماخوس،ج1، مصدر سابق، ص 176.

يؤكد أرسطو بأن البحث أو التكلم في طبيعة السعادة استنادًا إلى جميع آراء السابقين أمر لا فائدة منه، و لكنه يتطرق في بحثه على الآراء الأكثر انتشارا، فينتقد "مذهب المثل" لأستاذه، – لكننا لن نتكلم عن هذا لأننا تطرقنا لهذه النقطة في الفصل الأول– فرأى أن مبدأ الحق في كل شيء هو الواقع الذي يمتاز بالشفافية و الوضوح و على هذا الأساس قسم الحياة الإنسانية إلى ثلاثة أقسام فقال:

<< ليس على رأينا خطأ تاما أن يتخذ الإنسان له معنى الخير ،و من السعادة بما يلق من العيشة التي يعيشها هو نفسه، فلقد قسم الحياة الإنسان إلى ثلاث أصناف: فمنها العيشة المادية ترى السعادة في اللذة، و العيشة السياسية ترى السعادة في المجد، و العيشة التأملية ترى السعادة في الحياة الفاضلة.>>[1]

يلاحظ من ما سبق أن المعلم الأول يؤكد على مسالك و سبل اكتساب السعادة إذ رأى بأن المعايير تختلف باختلاف العيشة التي يعيشها الفرد في نظرته للحياة.

يتضح بأن موقف أرسطو من طبيعة السعادة بأنها الشيء لذاته و الذي من أجله تطلب كل الخيرات فيقول:

<< أننا نطلب السعادة لذاتها لا لتكون وسيلة لشيء آخر في حين أننا نسعى إلى الشرف واللذة و التعقل، لا من أجل ذاتها بل من أجل شيء آخر هو السعادة، ظانين أننا عن طريق هذه الأمور سوف نكون سعداء، لكن لن تجد أفرادا على الإطلاق تنشد السعادة من أجلشيء

[1] أرسطو، علم الأخلاق إلى نيقوماخوس، مصدر سابق، 179.

آخر.>>[1] نستخلص من ثنايا النص بأنه يتكلم عن أقسام المعيشة التي نستخدمها وسائل لتحقيق السعادة و يعني بأن السعادة تطلب لذاتها و ليس لأجل شيء أخر.

يمتاز الإنسان عن غيره بقوة فكره التي بفضلها يتفوق و يحكم جميع أشكال الحياة الأخرى[2]. إذ قال أرسطو في هذا:<< و لما كانت الغاية الطبيعية للإنسان هي ممارسة العقل فإن الحياة العقلية المكرسة للتأمل و النظر هي مهمته الحقيقية و الواجب الأول، و بها يبلغ كماله و يجد سعادته.>>[3]

يؤكد أرسطو على أهميه العقل في اكتساب الفضيلة، أي أنه يبرز أهمية الفلسفة في حياة الإنسان و عليه يمكن القول أن التأمل العقلي هو شرط ضروري من أجل الحياة السعيدة.

و يقول أيضا:<< أن الحياة العقلية شرط لازم لبلوغ السعادة.>>[4]؛و يتضح من خلال ما سابق بأنه يربط الحياة الفاضلة بالمعرفة، و هي فكرة سقراطية محض.

استنتج أرسطو أن السعادة في التأمل، و أن الحكيم هو الوحيد الذي يكون أسعد ما يكون المرء على هذه لأرض، من غير أن ينتظر شيئا وراء ذلك على ما يظهر، أي أنه يطلب السعادة لذاتها و ليس لشيء آخر كما سبقا القول و منه أن الحياة الفاضلة التي تؤدي إلى السعادة المنشودة هي الحياة الفاضلة الناتجة عن التعقل أو حياة التأمل.[5]

---

[1] إمام عبد الفتاح إمام، فلسفة الأخلاق، مرجع سابق، ص 107.

[2] ولِ ديورَانت، قصة الفلسفة، مرجع سابق، ص 87.

[3] أرسطو، دعوة إلى الفلسفة، مصدر سابق، ص 13.

[4] المصدر نفسه، ص 19.

5 أرسطو، علم الأخلاق إلى نيقوماخوس،،ج1، مصدر سابق، ص 96.

يوضح أرسطو أيضا بأنه لا من الطبيعي دراسة اللذة و ذلك لتباع مسابق- و يوحي هذا بأمرين إما أن أرسطو يتبع في دراسته الفلاسفة السابقين عنه أم أنه هو من تطرق لهذا في احد أبحاثه- حيث يرى بأن اللذة من ضمن مجموعة من الإحساسات تعدُّ النوع الوحيد الذي يتفق مع النوع البشري ، فقد اعتقد بأن اللذة و الألم يساهمان في تربية الشباب، حيث أعطى للقلب مهمة أخلاقية و هي تجنب الألم و حب ما يجب حبه لأنه يعطي أهمية كبيرة في أمر الفضيلة و السعادة ما دام الإنسان يطلب الأشياء التي تلاؤمه.[1]

المطلب الثاني:نظرية الفضيلة:

تحمل الفضيلة مفاهيم متعددة تختلف من فيلسوف لآخر، إذ يعرفها أحد الدارسين في علم الأخلاق بأنها:<<الاستعداد الدائم لسلوك طريق الخير، أو مطابقة الأفعال الإرادية للقانون الأخلاقي، أو مجموعة قواعد السلوك المعترف بقيمتها، و يعرفها أرسطو أيضا بأنها الاستعداد الطبيعي أو المكتسب للقيام بالأفعال المطابقة للخير.>>[2]

يتميز الإنسان عن غيره من الحيوانات بالنشاط العقلي أو الحياة العقلية و بالتالي يكون الإنسان الأخلاقي الفاضل ليس بحيازته للعقل فحسب بل تتجلى في قدرته على التفكير، و أيضا في قدرته على التحكم بعقله و مبادئه العقلية و في رغبته و سلوكه، وعلى ذلك لا تكون فضائل الإنسان عقلية فحسب بل تكون أخلاقية أيضاً[3] و عليه يقول أرسطو:<< الفضائل على نوعين

[1]،أرسطو، علم الأخلاق إلى نيقوماخوس، ج2، مصدر سابق ص 361.

[2]جميل صليبا، معجم الفلسفة، ج2، مرجع سابق، ص 148.

[3]إمام عبد الفتاح إمام، فلسفة الأخلاق، مرجع سابق، ص 111.

أحدهما عقلي و الآخر أخلاقي، فالفضيلة العقلية تكاد تنتج دائما من تعليم إليه يسند أصلها و نموها، و من هنا يجئ أن بها حاجة إلى التجربة و الزمان. و أما الفضيلة الأخلاقية، فإنها تتولد على الأخص من العادة...>>[1]

يبدو أنه تم تقسيم الأخلاق إلى قسمين، عقلية و أخلاقية كل حسب وظيفته، فالأولى مكتسبة تنتج عن طريق العلم و التربية، و على هذا يجب على المربي ترويض الأفراد على ممارسة العادات الطيبة ، أما الثانية فإنها عملية تنتج عن طريق الممارسة أي العادة، و عليه يمكن القول أن الأخلاق النيقوماخية هي أخلاق نظرية و عملية و هذا ما جعل منها أكثر قبول في الواقع الإنساني، لأنها نشأت من هذا الأخير متجهة إلى الواقع.

يؤكد أرسطو بأن الفضيلة ليست فينا بفعل الطبع، أي أنه لا يمكن لنا بفعل العادة أن نتغير على ما كنا عليه و قد أدرج أمثلة في هذا فمثل ذلك أن النار لا يمكن أن تنزل أو تتجه إلى الأسفل،و بمعنى آخر أنه لا يوجد حسب رأيه جسم واحد يمكنه أن يفقد خاصيته التي تلقاها من طبيعته و يتخذ عادة مخالفة لها. و عليه نستخلص بأن الفضيلة ليست فينا بفعل الطبع وحده و ليست فينا أيضا ضدّ إرادة الطبع، و لكن الطبع قد جعلنا قابلين لها، و إن العادة لتنميها و تثمنها فينا.[2]

[1] أرسطو، علم الأخلاق إلى نيقوماخوس،ج1، مصدر سابق، ص 226.

[2] المصدر نفسه، ص226.

يفسر "المعلم الأول" أيضا في بحثه الأخلاقي أن من الوجوب على المؤلف الأخلاقي أو الباحث الأخلاقي عدم التركيز على الجانب النظري فقط، و كانت حجته بأنه ليس الغرض من البحث الأخلاقي العلم بما هي الفضيلة بل من أجل أن نتعلم كيف نصير فضلاء و أخيارًا.[1]

يبدو أن مؤسس علم الأخلاق أنه ركز على الجانب العملي في الأخلاق، لأن به نصل إلى الفضيلة التي هي وسط بين رذيلتين أي بين الإفراط و التفريط، و أنها ليست سوى غاية يتحقق بها التوازن النفسي أو الاعتدال ،و من ثم تحصيل السعادة ،و في هذا يقول:

<< بديًا يجب أن نلاحظ أن الأشياء التي من قبيل ما نشتغل به الآن هي أيضا على خطر أن تفسد بأي إفراط، إما بالأكثر و إما بالأقل. و لأجل التمثيل بأمثلة مرتبة يمكنها أن تجيد تفهيم الأشياء الغامضة الخفية، نقول: إن الحال هنا على ما نرى كالحال بالنسبة لقوة البدن و للصحة، فإن الشدة المفرطة في التمرينات البدنية أو التفريط فيها كلاهما يودى بالقوة على السواء. و الحال كذلك بالنسبة للعفة والشجاعة و جميع الفضائل الأخرى.>>[2]

يوضح أرسطو من خلال قوله أن الفضيلة التي ينتج منها الخير قد تضرنا حين نستعملها بإفراط أو تفريط، مثل الغداء المعتدل يعطي الصحة و يحافظ عليها، بينما الغداء المفرط و الغير كافي يهلكان الصحة، و أيضا الشجاعة وسط بين التهور و الجبن،و هذا ما يطلق عليه "الوسط الذهبي الأرسطي".

[1] أرسطو، علم الأخلاق إلى نيقوماخوس، مصدر سابق،229.

[2] المصدر نفسه، ص230.

تكلم أرسطو عن طبيعة الفضيلة فرأى بأن كل فضيلة هي بالنسبة للشيء الذي فضيلته ما يتم حسن الاستعداد لها و يؤكد تنفيذها الكامل للعمل الخاص بها معا، و مثال ذلك فضيلة العين كون العين طيبة و أنها تؤدي وظيفتها كما ينبغي، فوصلَ إلى أن فضيلة الإنسان تكون هي تلك الكيفية الأخلاقية التي تصيره رجلا صالحا، كما رأى بأن الإنسان العاقل يجهد نفسه في اجتناب الإفراطات من كل نوع سواء أكانت بالأكثر أم بالأقل، و لا يطلب إلا الوسط القيم و بفضله على الطرفين، و لكن ليس هو فقط وسط الشيء عينه بل الوسط بالنسبة لنا، و قد أرجع الفضل إلى الاعتدال الحكيم في أن العلم يؤدي على وجه الكمال موضوعه الخاص، بدون أن يصرف النظر البتة عن هذا الوسط فقال:

<< إذ كان الإفراط و التفريط يفسدان الكمال فإن الوسط الحق وحده يمكن أن يؤكده. و إن الفضيلة التي هي ألف مرة أضبط و أحسن من كل فن تتطلع بلا انقطاع كما يتطلع الطبع نفسه إلى ذلك الوسط الكامل، و إني أعني بالكلام هنا الفضيلة الأخلاقية، لأنها هي التي تختص بالانفعالات الإنسان و أفعاله.>>[1]

يصرح من خلال ما سبق على طبيعة الفضيلة التي هي وسط بين رذيلتين، و التي تعد استمرارية عملية و هي الفضيلة الأخلاقية.

تكون الفضيلة في الانفعالات و في الأفعال. و بالنسبة للانفعالات و الأفعال، الإفراط بالأكثر خطيئة، و الإفراط بالأقل هو كذلك مذموم و الوسط وحده هو الحقيق بالثناء، لأنه حسب

[1] أرسطو، علم الأخلاق إلى نيقوماخوس،ج1، مصدر سابق،ص 246.

أرسطو وحده هو القدر المضبوط القويم، و هذان شرطان هما ميزة الفضيلة.و استنادًا على هذا نقول:<< الفضيلة هي عادةٌ هي كيفٌ يتعلق بإرادتنا منحصر في هذا الوسط الذي هو حقا حكيم. إنها وسط بين رذيلتين احدهما بالإفراط و الأخرى بالتفريط.>>[1]

واستنادا على كل ما سبق نجد أن طبيعة الفضيلة محصورة في وسط ذهبي تكتسب عن طريق العادة، و يعني بأن فكرة الوسط عند أرسطو لا تعني الوسط الحسابي بل تعني الوسط الأخلاقي الذي يصعب على الحكيم إيجاده.

سنوضح من خلال هذا جدولا الوسط الذهبي الأرسطي لمجموعة من الفضائل الأخلاقية في المذهب الأرسطي:

[1] أرسطو، علم الأخلاف الى نيقو ماخوس،ح1، مصدر سابق، ص 248.

-جدول الفضائل الأخلاقية[1]

الإفراط	الفضيلة	التفريط
التهور	الشجاعة	الجبن
الشراهة	الاعتدال	البلادة أو جمود الشهوة
التبذير	الكرم	البخل أو الشح
الزهور	الأريحية	التقتير
الغرور	عزة النفس	الخسة أو الوضاعة
حدة الطبع	الوداعة	الخمول أو الضعف
الفشل	الصراحة أو الصدق	تصغير الأمور
المجون	الدعابة	الفظاظة
التملق	الصداقة	الشراسة
الخجل	التواضع	انعدام الحياء

المطلب الثالث: نظرية الاعتدال و الشجاعة(تابع لنظرية الفضيلة).

يؤكد أرسطو بأن "الفضيلة متعلقة بالانفعالات الإنسان و أفعاله، و كان المدح و الدم لا يرادان إلا على الأشياء الإرادية*مادام أنه في الأشياء اللاإرادية لا محل إلا للعفو بل للرحمة أحيانا[2].

[1]إمام عبد الفتاح إمام، فلسفة الأخلاقية، مرجع سابق، ص 115.

[2]أرسطو، علم الأخلاق إلى نيقوماخوس، ج1، مصدر سابق،ص 265.

*الإرادة هي القوة التي هي مبدأ النزوع، و تكون قبل الفعل،(جميل صليبا، معجم الفلسفة،ج1، مرجع سابق، ص58.)

و يعني هذا بأن أفعال الإنسان يحكم عليها بقبحها و حسنها من حيث إرادة الإنسان في إنجازها لأن معرفة الأفعال الإرادية واللاإرادية ضرورة كمعيار لعملية الحكم عن فعل ما و تقرير العقوبات على هذا الحكم.

و على هذا الأساس تصنف أفعال الإنسان حسب أرسطو بأن منها من يقع بقوة جهل الإنسان و تكون علته في ذلك قوى خارجية و تعني الأفعال اللاإرادية بوجه عام، إن كل فعل هو دائما قسري متى كان سببه من الأشياء الخارجية و متى كان الفاعل ليس له من السبب أدنى نصيب.[1]

وعلى هذا مادام الفعل اللاإرادي هو الذي وقع بالقوة القاهرة أو الجهل، فالفعل الإرادي يظهر أنه هو الفعل الذي أصله في ذات الفاعل فهو يعرف جميع الشروط و الأوضاع التي و قع بها فعله.[2]

أي أن حدوث الفعل يكون على دراية تامة من المصدر الصادر عنه و هو الإنسان، و بمعني آخر أنه يكون على علم بما يحدث و في وعي تام عند حدوث فعل ما.

يتضح بأن الأفعال اللاإرادية لا دخل للإنسان في حدوثها و يمكن القول بأنها لا تمثل موضوعا لعلم الأخلاق، على عكس الأفعال الإرادية التي تكون نتيجة تفكير الإنسان قبل القيام بفعل ما و هي تمثل موضوع علم الأخلاق.[3]

---

[1] أرسطو علم الأخلاق إلى نيقو ماخوس، ج1، مصدر سابق، ص266.

[2] المصدر نفسه، ص، 273.

[3] أحمد أمين، كتاب الأخلاق، (القاهرة، دار الكتب المصرية، ط3، 1931)، ص3.

و لقد تكلم أحد الدارسين عن موضوع علم الأخلاق، فرأى بأنه يبحث في أعمال الإنسان فيحكم عليها بالخير أو بالشر، و لكنه رأى أيضا بأنها ليست كل الأعمال صالحة لأن يحكم عليها هذا الحكم، أي أنه فصل في الفعل الإرادي و اللاإرادي الصادر عن الإنسان فقال:

<< تصدر من الإنسان أعمال غير إرادية كالتنفس و نبض القلب، فهذه الأعمال تسمى "أعمال غير إرادية"، و هي ليست موضوع علم الأخلاق، فلا نحكم عليها بخير و لا شر، و لا يقال: إن الإنسان خير لأن قلبه ينبض نبضا حسنا، كما لا يقال: أنه شرير لأن قلبه لا ينبض كما نبغي، لأن لا دخل لإرادة الإنسان في ذلك، و تصدر عن الإنسان أعمال بعد التفكير في نتائجها و إرادة عملها، كمن يرى أن بناء مستشفى في بلده ينفع قومه و يخفف مصائبهم فيتبرع بالمال لبنائه و إدارته، كما أن يقدم على قتل عدوه فيفكر في وسائل ذلك ثم ينفد ماعز عليه، فهذه "الأعمال إرادية" و هي موضوع علم الأخلاق.>>[1]

من خلال ما سبق نستنتج من تعريف أرسطو بالفعل الإرادي و اللاإرادي،أنه يحدد لنا موضوع علم الأخلاق، و بمعنى آخر أنه فصل في أعمال الإنسان فوجد منها من هو خارج عن طاقة الإنسان، و منها من هو صادر عن تفكير الإنسان و قد و قع اهتمامه عن هذا الأخير الذي يعد المادة التي يدرسها علم الأخلاق.

بعد تحديد موضوع علم الأخلاق من الأفعال البشرية، نتطرق إلى الاختيار بالقصد الذي يعتقد نيتنا، و الذي يظهر أنه الأصل للفضيلة بل هو أدل من أفعال الفاعل نفسها على تقرير

[1]،أحمد أمين، كتاب الأخلاق، مرجع سابق، ص3.

ملكاته الأخلاقية فقال: << بأن الاختيار الأدبي أو القصد هو في الحق شيء إرادي. و لكن القصد ليس مماثلا للإرادة التي تمتد إلى أبعد منه.>>[1]؛يفرق أرسطو بين الإرادة و الاختيار بالقصد، فرأى بأن الأول أبعد من حيث المعني من الثاني.

وعليه يعرف القصد بأنه **رغبة**,**Desire*** أو هوى القلب أو إرادة أو أي حكم من نوع ما و هذه تسميات بالنسبة لأرسطو ليست مطابقة له، و عليه نقول:<< إن عديم الاعتدال الذي لا يعرف أن يحكم نفسه إنما يفعل بالرغبة. إنه لا يفعل بالقصد و الاختيار على ضد ذلك الرجل المعتدل يفعل بالقصد و بالاختيار المدبر و لا يفعل بدافع رغباته.>>[2]

و يعني هذا أن الإفراط أو التفريط في شهوات النفس يمنع من توازنها و يكون ذلك بسبب رغبة أي لا يكون نتيجة تفكير، و هذا هو عديم الاعتدال حسب أرسطو، في المقابل نجد الرجل المعتدل تصدر أفعاله بعد تفكير معمق و مدبر و عن اختيار و هذا هو الاعتدال في النفس الذي يعدّ فضيلة.

وضع أرسطو عدة نقاط من أجل التميز بين الإرادة و الاختيار الأدبي، نذكر منها: الإرادة أو الرغبة تتعلق على الأخص بالغرض الذي تسعى إليه، أما القصد أو الاختيار المدبر فإنه يقدّر

[1] أرسطو، علم الأخلاق إلي نيقوماخوس،ج1، مصدر، سابق ، ص275.

[2] المصدر نفسه،ص276.

*هي النزوع التلقائي الداعي إلى غاية معلومة أو متخيلة.(جميل صليبا، معجم الفلسفة، ج1، مرجع سابق، ص617.)

على الأخص الوسائل التي تؤدي إلى ذلك الغرض، وكان مثاله في ذلك، نحن نرغب نحن نريد أن نكون الصحة و لكننا نختار بقصد مدبر الوسائل التي يمكن أن تعطينا إياها. [1]

بعد تفسير أرسطو في الإرادة و القصد استخلص بأن التفكير هوالذي يسبق الإصرار، لأن الاختيار الأدبي أي القصد هو دائما مصحوب بالعقل و بالتدبر[2].أي أنه لا يكون نتيجة اختيار عشوائي بل يكون نتيجة تفكير واعي.

يتكلم أرسطو عن الشجاعة باعتبارها فضيلة فيرى بأنها:<< وسط بين الخوف و الجرأة، و الشجاعة في رأيه لا تنحصر في مكافحة الموت في جميع الأحوال بلا تميز، في غرق أو في مرض مثلا.>>[3]

نستخلص من هذا بأن الشجاعة عند أرسطو لها أبعاد أخرى، فتسأل أرسطو عن موضع استخدام الشجاعة، و بمعني أخر حسب التعبير الأرسطي ما هي الفرص التي تستعمل فيها الشجاعة؟[4]

يعتقد أرسطو بأن فرص الشجاعة التي يتحصل عليها المرء من الحرب حيث يرى فيها الموت محفوفا بالخطر الأعظم و المجد معا. حينئذ يشترك في ما يسمى شجاعة الصبر على المشقات المؤلمة كما قد قيل، لذلك نرى أن الشجاعة لكونها أمرا أصعب جدا يكون عليها الثناء هو غاية الإنصاف لأن احتمال الألم أصعب من الامتناع عن اللذة.[5]

[1] أرسطو، علم الأخلاق إلى نيقوماخوس، ج1،مصدر سابق، ص 277.
[2]المصدر نفسه، ص 279.
[3] المصدر نفسه ، ص299.
[4] المصدر نفسه ، ص 299.
[5]المصدر نفسه، ص 313.

لنتكلم على الاعتدال بعد الشجاعة لأنهما على ما يظهر فضيلتان لأجزاء غير عاقلة في النفس. تكلم أرسطو عن الاعتدال الذي هو وسط القيم في كلما يتعلق باللذات و إن تعلقه بالآلام، فقد قسم الذات إلى قسمين لذات تتعلق بالبدن و لذات تتعلق بالروح و قد أعط مثال في ذلك الطمع يمثل لذات البدن، و العلم يمثل لذات الروح، و استخلص أرسطو من خلال بحثه الأخلاقي بأن الاعتدال ينطبق إذن على ذات البدن بل كل الذات البدنية بلا استثناء، بل و أيضا ينطبق الاعتدال و عدم الاعتدال على تلك الذات التي هي عامة أيضا للحيوانات.[1]

يتضح من خلال هذا أن أرسطو يقر بأن الاعتدال يشمل الذات البدنية فقط و عليه نستنتج بأن فضائل البدن تتمثل في تحكم المرء في شهواته و ذات الروح تتمثل في التأمل العقلي.

[1] أرسطو، علم الأخلاق إلى نيقو ماخوس،ج1، مصدر سابق ، ص 318.

المبحث الثاني: علاقة الأخلاق بالسياسة:

ليس علم السياسة في نظر أرسطو منفصلا عن علم الأخلاق، بل هو يرى أن الأول قسم من الثاني؛ فعلم الأخلاق إما أن يبحث في أخلاقية الأفراد أو في أخلاقية الجماعات، و الثاني هو المسمى عادة بالسياسة. و هناك سبب آخر للاتصال بين القسمين، و هو أن أخلاقية الفرد لا تجد غايتها إلا في الدولة، و بعبارة أخرى في المعيشة الاجتماعية، و لا يمكن أن يصل الفرد إلى غاية بدونها[1]، و بعدما تطرقنا للأخلاق الفرد عند أرسطو و التي تعبر عن نظرياته الأخلاقية، ننتقل إلى الأخلاق الجماعة التي تعبر عن الجانب العملي في الأخلاق النيقوماخية و هي السياسة و علاقتها بالأخلاق.ففيما تتمثل هذه العلاقة؟

المطلب الأول: السياسة.

إنه لمن الصعب تحديد ماهية الإنسان، لأنها تحمل مفاهيم و تعريفات مختلفة لمجالات متعددة لمختلف أشكال العلم، فتعريف الإنسان عند علماء المنطق يختلف عن تعريفه عند الباحثين الأخلاقيين، إذ نجده يحمل أيضا معنى مخالف عند الدارسين السياسيين حيث عرفه أرسطو في بحثه السياسي بأنه:

[1] أحمد أمين، زكي نجيب محمود، قصة الفلسفة اليونانية، مرجع سابق،ص 255.

<< حيوان سياسي، و هو يتميز عن غيره من الحيوانات بانتمائه إلى الحضارة.>>[1]؛ يفسر لنا أرسطو في الطبيعة البشرية بأنها طبيعة عملية تسعى لبلوغ الحضارة و التي تعد آخر مراحل التجمع الإنساني، و عليه يمكن أن نستخلص من هذا بأن الإنسان كائن اجتماعي لا يمكن أن يعيش بمفرده.

و عليه قسم أرسطو تطور المجتمعات الإنسانية إلى مراحل مختلفة تحمل سلما يبدأ من أصغر جزء إلى أكبر جزء إذ رأى بأن بدايته العائلة، و من ثم القبيلة و من ثم القرية و من ثم الحضارة التي تعتبر نهاية التجمع الإنساني.[2]

يبدو لنا من خلال ما سبق أن المعلم الأول اهتم في درسته لسياسة بأصغر جزء وهو العائلة أو الأسرة و صولا إلى أكبر جزء و هو الحضارة و علية يمكن القول بأن الفرد يشكل جزء من الكل الذي يتمثل في الحضارة.

إن دراسة أرسطو للجانب العملي للأخلاق كانت وفق منهج مخالف لمنهج أستاذه أفلاطون لأن هذا الأخير قد:<< أسلم القيادة للعقل قبل كل شيء ليفهم الدولة و ليقدرها قدرها. فكان يساءل العقل عن القوانين الأساسية للسلطان كما كان يسأله عن أركان السعادة الحقة، أما أرسطو فإنه أقل يقضة و أقل اطمئنانا له، بل هو بكل الأمر أكثر من ذلك إلى التاريخ. فمن مشاهدة الحوادث

[1] جان توشار، تاريخ الفكر السياسي، تر: علي مقلد،(بيروت، الدار العالمية، ط2، 1983)،ص 36.
[2] المرجع نفسه، ص36.

الخارجية و الظواهر الاجتماعية يستعير نظرياته كلها تقريبا. حق المشاهدة و حدها هي التي ينبغي أن تهدي الفلسفة المستبصرة.>>[1]

يبدو أن الاختلاف بين أرسطو و أفلاطون في دراستهم للأخلاق بشقيه النظري و العملي هو اختلاف في المنهج و في نظرتهم لطريقة الحياة في المجتمع اليوناني.

فقد تكلم أرسطو في كتاب السياسة على الدولة فرأى بأنها:<< بالطبع فوق العائلة و فوق كل فرد، لأن الكل هو بالضرورة فوق الجزء مادام انه متى فسد الكل فليس بعد من جزء.>>[2]

اعتبر أرسطو الدول هي غاية الكمال الإنساني فهي تمثل الكل بالنسبة له الذي يعدُّ جزء منها و عليه يمكن القول بأن أرسطو يلمح لخصائص المنهج الذي اتبعه في درسته لسياسة.

فتكلم أيضا في كتاب الثاني لعلم الأخلاق إلى نيقوماخوس عن نظريات الحكماء فرأى بأنها متفقة مع نظرياته الأخلاقية فرأى بأنها:<< تكتسب بذلك درجة جديدة من الاحتمال لكن متى كان الأمر بصدد العمل فإن الحق يحق و يعرف على حسب الأفعال فقط و على حسب الحياة الواقعية، لأن هذه النقطة الحاسمة، فيحسن إذن عند درس النظريات التي عرضتها أن يطابق بينها و بين الأفعال ذاتها و بين الحياة العملية. فمتى اتفقت مع الواقع أمكن اعتناقها فإذا لم تتفق معه لزم اتهامها بأنها ليست اِلاستدلالات فارغة.>>[3]

يتضح بأن مؤسس علم الأخلاق يرغب في تطبيق نظرياته الأخلاقية في الواقع، فوضع معيارا لصحت نظرياته و هي لزوم تطبقها مع الواقع و أن لم تكن كذلك فهي استدلالات فاسدة و

[1] أرسطو، السياسة، مصدر سابق، ص 32.
[2] المصدر نفسه، ص 97.
[3] أرسطو، علم الأخلاق إلى نيقو ماخوس،ج2، مصدر سابق، ص 364.

من المعلوم بأن الاستدلال يتكون من التمثيل و الاستنتاج الذي يشمل علم المنطق و الاستقراء الذي يشمل العلوم التجريبية، فقد رأينا حسب ما اعتقدا بأن أرسطو استخدم في دراسته للأخلاق العملية منهج استقرائي، حيث بدأ في درسته من الجزء و هو الفرد و من ثم انتقل إلى الكل و هو الدولة و فق منهاج عقلي تجريبي و هو تطبيق نظريات في الواقع.

و لقد أشار أيضا في كتاب السياسة إلى منهجه فقال بأن هذه:<< النظريات كلها باطلة و سيكفي في الاقتناع بذلك استخدام منهجا العادي في هذه الدراسة، فهاهنا كما في كل موطن آخر ينبغي رد المركب إلى عناصر غير القابلة للتحليل أعنى إلى أصغر أجزاء المجموعة.. فالبحث عما هي العناصر المؤلفة للدولة تحسن معرفتنا بماذا تختلف هذه العناصر. و سنرى كيف يمكن تقرير مبادئ علمية في المسائل التي تكلمنا عليها آنفا، فهنا كما في كل موطن أخر الصعود إلى أصل الأشياء و تشعبها هو الطريق الأمين للمشاهدة.>>[1]؛ يبدو أن أرسطو حسب ما يلاحظ أنه يتكلم على المنهج التحليلي الذي يعد وسيلة من وسائل البحث العلمي.

يلاحظ من خلال ما سبق بأنه يتكلم عن خصائص المنهج المتبع في دراسته للسياسة و لكنه لم يصرح به، فقد رأينا حسب رأينا بأنه استخدم المنهج الاستقرائي و هو منهج البحث العلمي، و يكون ذلك حسب ما ورد في مقدمة بحثه السياسي: بأن أرسطو قد أسس علم السياسي بالمعنى الخاص على صورته الحقة كما أسس علم المنطق و علم الطبيعة و علم الخلاق[2].

و لو انتقلنا من تحليل نظريات الفرد الأخلاقية إلى الدولة و جدنا ها بأنها كالآتي:

[1]أرسطو، السياسة، تر:مصدر سابق،ص 93.
[2]المصدر نفسه، ص 32.

-**فالدولة:** هي جمع من الناس مستقرون في أرض معينة مستقلون و فق نظام خاص، أو هي مجتمع منظم له حكومة مستقلة و شخصية معنوية تميزه عن غيره من المجتمعات المماثلة، فالدولة إذن هي الجسم السياسي و الحقوقي الذي ينظم حياة مجموعة من الأفراد يؤلفون أمة.[1]

و قد جاء في معجم المصطلحات الفلسفية أن الدولة عند أرسطو هي << لا يجتمع الناس من أجل وجودهم المادي فحسب، و إنما يجتمعون من أجل الحياة السعيدة، و إلا كان تجمع العبيد أو الحيوانات عبارة عن دولة و هذا أمر محال لأن هذه الكائنات لا تشارك قط لا في تحقيق السعادة و لا في تأسيس حياة تقوم على الإرادة الحرة>>[2].

و يعني هذا بأن الدولة هي وسيلة لتحقيق السعادة للفرد و للجماعة، أي هي الاجتماع الذي به تكون سعادة المجتمع.

و يقول أرسطو أيضا في "**كتاب السياسة**" أن: كل دولة هي بالبديهة اجتماع و كل اجتماع لا يتألف إلا لخير ما دام الناس أيا كانوا لا يعلمون أبدا شيئا إلا وهم يقصدون إلى ما يظهر لهم انه خير، فبين إذن أن كل الاجتماعات ترمي إلى خير من نوع ما، و أن أهم الخيرات كلها يجب أن يكون موضوع أهم الاجتماعات ذلك الذي يشمل الأخر كلها،و هذا هو الذي يسمى بالضبط الدولة أو الاجتماع السياسي.[3]

[1] جميل صليبا، معجم الفلسفي، ج1، مرجع سابق،ص 568.
[2] جلال الدين السعيد، معجم المصطلحات و الشواهد الفلسفية،(تونس، دار الجنوب لنشر،د.ط، د.ت،)، ص194.
[3] أرسطو، السياسة،(تر) أحمد لطفي السيد، مصدر سابق،ص 92.

يفسر أرسطو من خلال تعريفه لدولة حاجة الفرد لها و التي تشكل الكل بالنسبة للفرد الذي يعتبر جزء منها، كما يرى بأنها الخير الذي تسعى إليه جميع المجتمعات البشرية.

وافق أرسطو أفلاطون في أن الغرض من الدولة إسعاد أفراد الشعب، و بدونها لا يمكن أن يسعدوا لأن الإنسان حيوان سياسي بالطبع...و يرى أيضا أن الدولة صورة و الفرد هيولى، و أن وظيفة الدولة تربية الأفراد على الفضيلة و تهيئة الأسباب لهم ليكونوا فاضلين، و بدون ذلك لا يكون الإنسان إنسان إنما يكون وحشا ضاريا[1].

اعتقد "أرسطو" في الطبيعة البشرية فرأى بأن:<< الإنسان قد تلقى عن الطبع أسلحة العدل و الفضيلة التي ينبغي أن يستعملها ضد شهواته الخبيثة، فبدون الفضيلة يكون هو أكثر ما يكون فسادا و افتراسا. فالعدل ضرورة اجتماعية لأن الحق هو قاعدة الاجتماع السياسي و تقرير العدل هو ذلك الذي يرتب الحق.>>[2]

يبدو أن هناك تأكيد على ضرورة وجود الدولة في المجتمعات البشرية لأن بها يسود العدل و النظام و الأمن و الاستقرار داخل المجتمع الذي يعد فضيلة لدولة.

و يري أرسطو أيضا أن أصل الدولة يرجع إلى الأسرة، فأول كل شيء كان الفرد، ثم أخد الفرد يبحث عن رفيق في الحياة فكانت الأسرة، و من مجموعة أسر تكوّنت القرية ثم المدينة، و من مجموعة قرى و مدن كانت الدولة.[3]و هذا ما تطرقنا إليه سلفا في تقسيمه لدراسة المجتمع.

---

[1] أحمد أمين، زكي نجيب محمود، قصة الفلسفة اليونانية، مرجع سابق، ص 255.

[2] أرسطو، السياسة، مصدر سابق، ص97.

[3] أحمد أمين، زكي نجيب محمود، قصة الفلسفة اليونانية،مرجع سابق، ص256.

إن ما يثبت الضرورة الطبيعية للدولة و فوقيتها على الفرد هو أنه إن لم يسلم به لأمكن الفرد أن يكتفي بنفسه بمعزل عن الكل و عن سائر الأجزاء كذلك. و إن هذا الذي لا يستطيع أن يعيش في الجماعة و ليس له مع استقلاله حاجات فذلك لا يستطيع البتة أن يكون عضوا في الدولة. و إنما هو بهيمة أو آله.[1]

و هنا يضيف "**نتشه***(Nietzsche ,Fiddich ,whelm)الذي أخد فلسفته السياسية عن أرسطو هذه العبارة:<< و إما تكونهما معا- أي أن تكون فيلسوفا>> و هو يرى أن تشرف الدولة على التربية و أن تتدرج بها تبعا لتطورها الإنسان، فتبدأ بالتربية الخلقية، ثم بتربية النفس العاقلة و هي التربية الفكرية[2].

و على هذا الأساس نستخلص بأن الدولة هي وسيلة لغاية أسمى و هي الغاية القصوى أي الخير الأسمى، لأنه يرى أن<< الدولة تستهدف قدر المستطاع أن تكون مجتمعًا مكوناً من أنداد و أتراب.[3]

المطلب الثاني: علاقة الأخلاق بالسياسة.

يرى أرسطو أن يأخذ الإنسان كما هو لا كما يجب أن يكون، و أن كماله إنما هو كمال إنساني محض، فالواجب عليه فوق السعي إلى كماله الخاص، ألا يخلي نفسه من واجباته الاجتماعية من جهة كونه عضوا في الجمعية الإنسانية بأن يخدمها و يزيد في عددها و قوتها، و

[1] أرسطو، السياسة، مصدر سابق، ص 97.

[2] أحمد أمين، و زكي نجيب محمود، قصة الفلسفة اليونانية، مرجع سابق، ص 262.

[3] أرنت ليبهارت، الديمقراطية التوافقية في مجتمع متعدد، تر: حسني زينه،(بيروت، الفرات للنشر و التوزيع، ط1، 2006)، ص11.

على هذا المبدأ درج هو نفسه، فقد أستوفى نصيبه من جميع الواجبات الإنسانية. و لعّلهاستعاض بتدوين السياسة النظرية المستقاة من الواقع لا من الخيال عن تعاطي السياسة العملية.[1]

يتضح من خلال ما سبق أن أرسطو في دراسته للسياسة النظرية و السياسة العملية ذو نزعة واقعية تبدأ من الواقع الإنساني، و على هذا الأساس يتضح لنا العلاقة بين العلم النظري و العلم العملي.

إن علم السياسة بنظر أرسطو هو علم أعلى من علم الأخلاق و ما يتفرع عنه من معارف سلوكية، و انفعالات اجتماعية،باعتبار أن الدولة أو السلطة الحاكمة هي التي تهيأ للأفراد الأسباب المادية و الأدبية للحياة الفاضلة، تحمي حياتهم و تتعهد بالتعليم و التربية.[2]

تساءل أرسطو في بداية كتابه لعلم الأخلاق عن ماهية الخير و عن العلم و الفن الذي ينتمي إليه هذا الخير؟ فرأى:<< بأن الخير يتبع العلم الأعلى بل العلم الأساسي أكثر من جميع العلوم. و هذا هو على التحقيق علم السياسة، فإنه في الواقع هو الذي يعين ما هي التي يجب على أهل الوطن أن يتعلموها، و إلى أي حد ينبغي أن يعلموها، و يمكن أن ينبه فوق ذلك إلى أن العلوم الأعلى مكانة في الشرف هي تابعة للسياسة، أعني العلم الحربي و العلم الإداري و البيان.>>[3]

[1] أرسطو علم الأخلاق إلى نيقوماخوس،ج1، مصدر سابق، 30.

[2] مصطفي غالب، في سبيل موسوعة فلسفية، مرجع سابق، ص143.

[3] أرسطو، علم الأخلاق إلى نيقوماخوس،ج1، مصدر سابق، 171.

يؤكد أرسطو على أهمية العلم العملي و ضرورة تعليمه، فضلا عن إبراز مكانته بين العلوم إذ اعتبره أشرف العلوم، و يعني هذا بأن المجتمع بحاجة إلى العلم العملي أو السياسة من أجل الحصول على مجتمع متماسك و هذا هو الخير الأسمى بالنسبة للفرد و للجماعة.

و يؤكد أيضا في هذا الشأن بأن علم السياسة هو:<< الذي يستخدم جميع العلوم العملية الأخرى، و أنه هو الذي يأمر باسم القانون بماذا ينبغي أن يفعل و ماذا ينبغي أن يترك يمكن أن يقال" إن غرضه يشمل الأغراض المتنوّعة لجميع العلوم الأخرى و بالنتيجة يكون غرض السياسة هو الخير الحقيقي، الخير الأعلى للإنسان.>>[1]

يبرز أرسطو موقفه من العلم العملي أي السياسة، باعتبارها أرقى العلوم و أشرفها، و بها تنظم حياة المجتمعات البشرية و هي الغاية التي تسعى إليها البشرية.

و لقد بين أيضا أن غاية العلم العملي "السياسة" فرأى:<< بأن غايته هي المملكة الأفضل فقال: << فمن المحقق أن الخير متماثل بالنسبة للفرد و المملكة على أنه يظهر أن تحصيل الخير المملكة و ضمانته هو شيء أعظم و أتم. إن الخير حقيقي بأن يحب حتى و لو كان لكائن واحد، و لكنه مع ذلك أجمل و أقدس متى كان ينطبق على أمة بأسرها، و متى كان ينطبق على ممالك بتمامها.>>[2]

نستشف من القول الأرسطي طبيعة الخير الذي يسعى لتحقيقه و هو السعادة العامة للمجتمعات البشرية.

[1] أرسطو، علم الأخلاق إلى نيقو ماخوس،ج1، مصدر سابق ،ص172.

[2] المصدر نفسه،ص172.

اعتبر أرسطو الفضيلة وسط بين رذيلتين و من تم أخرج الوسط الذهبي الذي يشمل العلوم النظرية، فطبقه على العلم العملية في دستوره فرأى في كتاب السياسة: << أن الدستور قائم على "الطبقة الوسطى"، فهذه الطبقة فيما يرى هي التي تؤمن استقرار الدولة و تظل مخلصة للقوانين تحاذر الهبات الغاضبة. و هي لا تعمل من أجل مصلحتها وحدها، بل من أجل مصلحة جميع المحكومين.>>[1]

يبدو أن أرسطو يحاول تطبيق أخلاقه في الواقع الأثيني المعاش و كان ذلك من خلال دستوره الذي يقر بالطبقة الوسط هي التي تمثل مبدأ الاعتدال في المجتمع، و من ثم الخير في الدولة و بمعنى آخر يمكن القول أن الوسط الذهبي الأرسطي سائدا في الحكمة النظرية و في الحكمة العملية على السواء.

و نستنتج من خلال موقفه السياسي تماما مع نظرائه و آرائه الأخلاقية و مع الطريقة التي يضع فيها الفضيلة في منزلة وسطى أو يراها في الاعتدال[2].

و على هذا الأساس يرى أحد الباحثين في أن:<< ينظر علم الأخلاق في الأفعال الإنسانية بما هو إنسان و يدبرها على هذا الاعتبار، فهو علم عملي و الإنسان مدني بالطبع لا يبلغ إلى كماله إلا في المدينة و بمعونتها. و التدبير المدني علم خاص هو علم السياسة. فكما أن الفرد جزء من المدينة فإن علم الأخلاق جزء من العلم السياسي، و العلم السياسي رأس العلوم العملية جميعا يستخدمها لغايته و خيره>>.[3]

[1] أرسطو، السياسة، مصدر سابق، ص63.

[2] لمصدر نفسه، ص 63.

[3] يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، مرجع سابق، ص239.

بعد تحليلنا لنظريات الأخلاقية الأرسطية تبين لنا مدى أهميتها من الناحية الفلسفية فهي تدرس سلوك الإنسان وتنظم حياته و تحكم على أفعاله الصالح منها من الطالح، كما رأينا بأن لها أهمية من الناحية العلمية فهي تسعى لتطبيق هذه النظريات في الواقع الإنساني و فق منهج محدد و هو حسب اعتقادنا منهج استقرائي و المتمثل في منهج العلوم التجريبية الذي طبقه في الجانب العملي للأخلاق أو السياسة، و عليه يمكننا القول بأن أرسطو في تأسيسه للأخلاق استطاع الربط بين جانبه النظري بالتطبيقي أي العملي؛ و بمعنى آخر يمكن القول بأن أرسطو:<< يعرف ما هي الأواصر الضيقة غير قابلة للفساد التي تربط السياسة بعلم الأخلاق.>>[1]

[1] أرسطو، السياسة ، مصدر سابق، ص 31.

الفصل الثالث

المبحث الأول: أثر أرسطو في العصر الوسيط

المبحث الثاني: أثر أرسطو في العصر الحديث

تعدُ فلسفة الأخلاق أحد أهم مباحث الفلسفة، فقد اهتم بها فلاسفة اليونان من ضمنهم أرسطو، الذي كرس مجهوداته لدراسة سلوك الإنسان من أجل تقويم و تقيم أفعاله، و أيضا من أجل الحصول على مجتمع فاضل لأنه كما نعلم أن طبيعة الأخلاق الأرسطية هي أخلاق السعادة سواء للفرد أو للجماعة، فقد كان لفكره الأخلاقي أثر بالغ في الفلسفات اللاحقة ، حيث نلتمس امتداد[1]* أثره في العصر الوسيط مرور إلى العصر الحديث، و هذا إن دلّ على شيء فإنه يدل على أهمية هذا الفكر الأخلاقي الأرسطي و أثره في الواقع الإنساني عبر عصور مختلفة.

و عليه يطرح التساؤل التالي: في ما يتمثل أثر أرسطو في العصر الوسيط؟ و ما هي آماله؟ و ما هي أثره في العصر الحديث؟

[1] *يطلق الامتداد Extension, stadiumمجازًا على ما يمتد من الأشياء حتى يبلغ مدى بعيدًا أو قريبًا فنقول امتد به السير، و امتد النهار، أو البحر ، أو امتد البصر ، أو امتد الفكر.(جميل صليبا، معجم الفلسفي، مرجع سابق، ص 133.).

المبحث الأول: أثر الفكر الأخلاقي الأرسطي في العصر الوسيط (السكولائية).

في العصر الوسيط الغربي خاصة أين تمثلت الفلسفة الوسطية المسحية، من خلال فتراتها الثلاث: عصر الآباء و عصر السكولائي و عصر الانحطاط، و نحاول تخصيص و توضيح أثر الفكر الأخلاقي الأرسطي في الفترة السكولائية أو ما تسمى بالمدرسية. فكيف كان هذا الأثر عند بعض الفلاسفة المسيحيين و على رأسهم توما الإكويني؟

المطلب الأول: الأخلاق عند القديس توما الإكويني*(thomas ,Aquin, salant)

الفلسفة التي نشأت في العصور الوسطى تسمي بالمدرسية لأنها تدل على الفلسفة التي كانت تدرس في المدارس في العصور الوسطى، فأصبح لفظ مدرسي يطلق على كل من حَصَّل جميع المعارف التي كانت تدرس في تلك العصور، فقد كانت الدراسة في هذه المدارسة مقتصرة أولا على الفنون الحرة السبعة من ثالوث و ربوع، لأن كتب الدراسة التي كانت معروفة كانت قليلة في ذلك الوقت،ثم تطورت معرفتهم خصوصا ابتداء من القرن الثاني عشر، فبدأت ترجمة كتب أرسطو، و من هنا اتسعت المعرفة.[1]

تعد الفترة السكولائية في الفلسفة المسحية بداية جديدة لدين المسيحي، إذ تراجعت فيها مكانة الفلسفة الأفلاطونية التي كانت سائدة في العصور الوسطي (عصر الآباء) وحلت في مكانها فلسفة أرسطو، حيث تأثر بها العديد من القديسين؛ على رأسهم توما الإكويني الذي يعد أعظم

[1] عبد الرحمن بدوي، فلسفة العصور الوسطى،(بيروت، دار القلم ، ط3، 1979)، ص 43.

*فيلسوف و لاهوتي من أصل إيطالي، كتب باللاتينية و لد في نهاية عام 1224و بدية عام 1225 لقب بالمعلم الأول أو الجامع أو الملائكي و توفيا في فوسانوفا على مقربة من تراشينا في 7 آذار 1274.(جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، مرجع سابق، ص242.)

فلاسفة الأسكولائين جميعا؛ ففلسفته تدرس في جميع المعاهد التعليمة الكاثوليكية التي تعلم الفلسفة، باعتبارها الفلسفة الوحيدة الصحيحة، حيث لا تقتصر أهمية القديس توما الإكويني على الجانب التاريخي منه، لكنه إلى جانب ذلك ذو أثر حي كأفلاطون و أرسطو، و هو في معظم موضوعاته يأخذ برأي أرسطو أخدا آمينًا.[1]

سبق الإشارة إلى أن القديس توما كان متأثرا بالفكر الأرسطي، و بما أن موضوعنا هو في فلسفة الأخلاق قد ارتأينا أن نركز على الفكر الأخلاقي لتوما الإكويني و الذي يعد امتدادا للفكر الأخلاقي الأرسطي في العصر الوسيط و هي أخلاق السعادة.

نظرية الأخلاق عند الإكويني:

لقد أولى توما الإكويني اهتمام كبيرًا للبحث في القيمة الأخلاقية في كتابه الضخم "الخلاصة اللاهوتية"، لما لها من أهمية في بلوغ السعادة القصوى، التي هي غاية كل فرد، غير أنه لا يمكن بلوغها إلا بتحقيق الفضائل و تجنب الرذائل ، فما طبيعة المعيار الذي يضعه "توما" للتمييز بين الفضائل و الرذائل؟[2]

يعتبر الشر عند توما الإكويني، هو انعدام النظام في ترتيب الوسائل من أجل تحقيق الغايات. أي أنه سلب، و لكن يمكن مع ذلك تقدير العلة بالعرض في الشرور.فقد يقع الشر لسبب انعدام مبدأ من المبادئ التي تتحكم في العقل، و يؤكد توما من ناحية أخرى أن سبب الشر يقوم دائما في خير ما. لكن الله لا يمكن أن يكون السبب في أي شر. لأنه لما كان الشر ناقصا في

[1] بتراند راسل، تاريخ الفلسفة الغربية، تر: زكي نجيب محمود(مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج2،د.ط، 2010)،ص 229.

[2] سمير بالكفيف، و أخرون، موسوعة الأخلاق، ،(الرباط، دار الآمان،د.ط، د.ت)، ص 151.

الفعل، فإن مصدر الشر هو الفاعل الذي صدر عنه الفعل. فلا يمكن إذن نسبة الشر إلى الله، بل إلى الإنسان الفاعل.[1]

و يعني هذا بأن الشر هو تعبير عن اختلال في نظام الحياة و في استخدام أفعال غير خيرة في تحقيق الغايات، و الذي يكون سببه عدم التحكم في العقل، كما نفى مصدر الشر عن الله، و أرجعه إلى الإنسان؛ نلاحظ أن فكرة توما في أن الشر يصدر عن الإنسان مطابقة لدين الإسلامي حيث ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: <<مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا .>>[2]

نسب الله سبحانه و تعالى الحسنة إلى نفسه، و نفى السيئة أو الشر عنه و نسبها للعبدو يكون ذلك بسبب ارتكاب المعاصي و الذنوب التي تبعده عن الله،و في المقابل نجد فكرة توما التي تنصّ على أن مصدر الشر إنساني و مصدر الخير هو إلهي، أي أن الله خير بطبعه يصدر عنه إلا الخير، و عليه يمكن القول أن فكرة توما في الشر مشابهة لآية الله في القرآن الكريم.

في حين أن الخير الكلي هو ضرورة الغاية النهائية و لا يمكن أن يكون هو نفسه وسيلة لغاية ابعد، و لا يمكن أن يتألف من اللذة الحسية طالما أن ذلك لا يشبع سوى البدن، و يذهب توما مع أرسطو إلى أن الرجل الصالح يتطور طبق لصورة الخير الحاصلة في كل شيء، و التي

[1] عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، مرجع سابق،ص 431.
[2] سورة النساء الآية، 78.

تساعدها أعمالنا الخيرة على بلوغها مرحلة تطور أسمى[1]؛ يبدو أن الخير عند توما كما هو الحال عند أرسطو و هو بلوغ الخير الأسمى أي الخير في ذاته و ليس لشيء آخر.

إن "توما" في تحديده لماهية الفضيلة بدقة، عمد إلى نقد الموقف الفلسفي الذي ردَّ مصدر الفضيلة إلى مبدأ خارجي و ليس إلى مبدأ داخلي، أي خارج الإنسان ، و لكنه في المقابل قبل موقف الفلسفي "الأرسطي" الذي ردَّ مبدأ الفضيلة إلى الإنسان من حيث أنه استعداد فطري، حيث يقول أرسطو في ذلك:<< تعريف الفضيلة بأن يقال إنّها عادة خلقية >>[2]؛ و يعني هذا بأن الفضيلة عند الإنسان مكتسبة و ليست موجود فينا بالفطرة، أي يتم الحصول عليها بفعل ممارسة أو العادة، أو عن طريق التعلم و التربية.

و أورد أرسطو أيضا في كتاب "علم لأخلاق إلى نيقوماخوس"، بأن لكل فعل إنساني غاية و هي بلوغ السعادة، فرأى بأن الأفعال متعددة لبلوغ الخير الأسمى و الذي يعدُ السعادة القصوى التي هي غاية كل فعل إنساني، إذ جعلها في فعل التأمل العقلي، الذي يعبر على أهمية العقل في اكتساب الفضائل و مزاولتها، فقسم الفضائل إلى أخلاقية و عقلية.[3]

إن تقسم الفضائل عند "توما" كما هو الحال عند أرسطو، فقد قسم الفضائل إلى عقلية و خلقية، فرأى بأن الفضيلة العقلية تؤخذ في حد الفضيلة الخلقية، فقد استند في قوله إلى فيلسوف الخلقيات أي أرسطو الذي قال:<< الفضيلة الخلقية ملكة انتخابية قائمة في الوسط بدستور معين على حسب ما يعنيه الحكيم.>>و هذا الدستور المستقيم الذي يعين وسط الفضيلة الخلقية يرجع

[1] حامد عبد الحمزة محمد علي، نظرية الأخلاق في فلسفة توما الإكويني،(جامعة بابل، مجلة العلوم الإنسانية، م23، العدد3،2016)،ص.ص12.13.

[2] سمير بالكفيف، و أخرون، موسوعة الأخلاق ، مرجع سابق، ص 151,

[3] أرسطو، علم الأخلاق إلى نيقوماخوس، ج1، مصدر سابق، ص 167.

إلى الفضيلة العقلية، إذن فالفضيلة الخلقية ليست مميزة للعقلية[1]؛ يتضح من خلال النص بأن الفضيلة العقلية تسبق الفضيلة الخلقية، و هما مكملين لبعضهما.

اعتبر توما في تقسيمه للفضائل أنها تشكل فرق لنا لأن بعض هذه الفضائل عقلية و بعضها خلقية ، لأن حسب رأيه العقل هو مبدأ جميع أفعال الإنسان[2]؛ يعني أن هناك فضائل عقلية كالعلم و هناك فضائل أخلاقية كالعدل، و في هذا قال أرسطو في السياسة:<< النفس تدبر البدن سلطان مطلق >>[3] شبه أرسطو الفضيلة العقلية بالنفس و الفضيلة الخلقية بالبدن، فرأى بأن النفس تدبر البدن، فالحال كذلك في الفضيلة العقلية و الخلقية، فالأولى تدبر، أي تمثل الجانب النظري و الثانية تنفد و تمثل الجانب العملي في الأخلاق.

اعتمد توما في تحديد الفضائل و الرذائل على الشر و ليس على العقل، لأن هذا الأخير لا يمكنه أن يحدد شيء إلهيا و من هذا المنطلق نجد أن غاية الأخلاق الأرسطية دنيوية، و غاية الأخلاق التوماوية إلهية، و بمعنى أخر أن توما في تحديده لمصدر الفضيلة لم يكن أرسطيا بل استند في رأيه إلى موقف القديس أوغسطين* Augustinian.[4] أي أن مصدر الأخلاق عند أوغسطين يكون إلهي، إذ قال في هذا أن : <<كل ما ليس من الإيمان فهو خطيئة>> ، و ما نصه في أن:<<حياة الغير المؤمنين كلها خطيئة و ليس شيء خيرا من دون الخير الأعظم و حيث كان الحق مجهولا كانت الفضيلة كاذبة حتى في أفضل الأخلاق>> و الإيمان ليس يمكن

[1] توما الإكويني، الخلاصة اللاهوتية، تر:الخورى بولس عواد،(بيروت، المطبعة الأدبية ، م4، د.ط ، 1881)، ص 175.
[2] المرجع نفسه، ص 176.
[3] المرجع نفسه، ص 176.
[4] سمير بالكفيف، و أخرون، موسوعة الأخلاق، مرجع سابق، ص152.

حصوله بالأفعال بل إنما يحصل فينا من الله كقوله: <<خلصتم بالإيمان من النعمة>>، فإذًا يمتنع حصول فضيلة عندنا بتكرار الأفعال[1].

يتضح أن القديس أوغسطين يرفض قول أرسطو بأن الفضيلة حاصلة فينا بفعل العادة و التكرار، إذ أرجعها إلى الإيمان أي مصدرها الإلهي، فقال أيضا:<<أن الخطيئة مضادة للفضيلة فلا تحملها معها. و الإنسان لا يستطيع اجتناب الخطيئة إلا بنعمة الله، كقوله: <<علمت بأني لا أستطيع أن أكون عفيفا ما لم يهبني الله>>، فأستخلص من قوله أنه لا يمكن حصول شيء من الفضائل عندنا بتكرار الأفعال بل بموهبة الله فقط[2].

لم يتوقف توما عند هذا الحد، بل يضف مصدر ثانيا لاكتساب الفضائل و هو العقل، و هذا ما نستكشفه من خلال قوله:<< إن الإرادة شوقا طبيعيا إلى الخير المطابق للعقل>> أي أن اكتساب الفضائل في هذا الفعل الأخلاقي قائم على إرادة الاختيار، و توما في هذا مقلدا لأرسطو، و منه فإن توما يعطي الحق القدرة على التمييز بين الفضائل و الرذائل[3]؛ يتضح من خلال ما سبق أن توما يجمع في اكتساب الفضائل و تمييزها عن الرذائل، بين العقل الذي يعطيه حق محدود، و بين الإيمان الذي يرى بأنه المصدر الأول في الفعل الأخلاقي.

[1] توما الإكويني، الخلاصة اللاهوتية، م4،مرجع سابق، ص 228.
[2] المرجع نفسه، ص 228.
[3] سمير بالكفيف، و آخرون، موسوعة الأخلاق، مرجع سابق،ص152.
*هو أشهر آباء الكنيسة اللاتينية ، و لد في طاجسطا اليوم سوق هراس في 13 تشرين الثاني 354م. مات في ايبونا في 14 آب 430م(جورج طربيشي، معجم الفلاسفة ، مرجع سابق، ص 118.)

إن مفهوم الوسط عند الإكويني هو نفسه بالتحديد و بالنظر إلى العقل و الواقع معًا، و عليه تمكن توما من ترتيب الفضائل و فق معيار العظمة و الشرف، فإلى أي حد كان متأثرا بالعظمة و الشرف؟[1]

إن المعيار الذي وضعه توما لترتيب الفضائل من حيث العظمة و الشرف هو نفسه معيار أرسطو القائم على شرف الوسيلة و عظمتها، و كذلك بالنسبة للموضوع حيث عرض الفضائل في كتابه الخلاصة اللاهوتية مرتبة من الأقل شرفا إلى أعظمها شرفا و هي[2]:

العدالة: يرى توما أن العدالة هي أخص الفضائل العقلية، فقد موقف أرسطو في القائل: بأن العدالة أشرف الفضائل، و في المقابل يقول توما أن العدالة هي أفضل الفضائل الخلقية و ذلك يظهر من جهة المحل و من جهة الموضوع، أما من جهة المحل فلأن محلها الإرادة هي الشوق النطقي، أما من جهة الموضوع فلأن موضوعها الأفعال التي بها ينتظم أمر الإنسان ليس في نفسه فقط بل بالقياس إلى غيره أيضا و من ثمة كانت العدالة هي أشرف الفضائل كما في الخلقيات(كتاب علم الأخلاق إلى نيقوماخوس لأرسطو).[3]

يتضح بأن توما قد أعتبر العدالة أشرف الفضائل، أي أنه ذهب مع أرسطو في هذا.

الحكمة: يرى توما الإكويني أن الحكمة هي أعظم الفضائل في نوعها بتعبير من جهة الموضوع، و موضوع الحكمة أسمي من موضوعات جميع الفضائل العقلية لأنها تبحث في العلة العليا التي هي الله كما في أول الإلهيات، و لما كان يحكم بالعلة على المعلول و بالعلة العليا

[1] سمير بالكفيف و أخرون، موسوعة الأخلاق، مرجع سابق ، ص 155.
[2] المرجع نفسه، ص 155.
[3] توما الإكويني، الخلاصة اللاهوتية، م4، مرجع سابق، ص262.

على العلل السفلى، كان للحكمة أن تحكم على جميع ما سواها من الفضائل العقلية و كان من شأنها أن ترتبها وهي بمنزلة الصناعة الهندسية بالقياس إلى جميع ما سواها، فقال أرسطو في" كتاب السماء":<< أن العلم بشيء من السماويات و لو على وجه ضعيف و ظني لعظيم>>، و قال أيضا في "كتاب أقسام الحيوانات": << العلم باليسير من الأمور التي هي أشرف أحب من العلم بالكثير من الأمور التي هي أخس.>>، فإذن الحكمة التي إليها ترجع معرفة الله لا يمكن للإنسان ولاسيما حال هذه الحياة أن يحصل عليها على وجه كامل حتى كأنه محرز لها بل ذلك خاص بالله وحده، إلا أن تلك المعرفة اليسيرة التي يمكن أن يعرف بها الله بالحكمة هي أفضل من كل معرفة سواها[1].

تمثل الحكمة عند توما كما هو الحال عند أرسطو فهي رأس بين الفضائل العقلية.

المحبة: يرى توما بأن المحبة هي أعظم الفضائل اللاهوتية، و بما أن العلة أفضل من المعلول، و الإيمان و رجاء هما علة المحبة، و في شرح "متى"، أن الإيمان يولد الرجاء و الرجاء يولد المحبة، إذًا الإيمان و الرجاء أعظم من المحبة، وقد خالف هذا الري قول الرسول كما ورد في" الخلاصة" و الذي يثبت أن الإيمان و الرجاء و المحبة، هذه الفضائل الثلاثة و التي أعظمها المحبة في نوعها من جهة الموضوع و لما كان موضوع الفضائل الثلاث اللاهوتية هو لله لم يجرأ أن يقال لأحدها أنها أعظم من الأخرى من جهة أعظمية موضوعها بل من حيث أن أحدها أقرب

[1] توما الإكويني، الخلاصة اللاهوتية، م4، مرجع سابق ، ص 266.

من الأخر إلى الموضوع، و على هذا تكون المحبة أعظم من سواها لذلك قيل: << من ثبت في المحبة فقد ثبت في الله و الله فيه >>.[1]

يلاحظ أن توما في تحديد الفضيلة اللاهوتية و هي المحبة لا ترجع إلى أرسطو بل تستند إلى الكتاب المقدس.نستخلص من خلال كل ما سبق أن علم الأخلاق التومائي هو مستوحى من الأخلاق الأرسطية، لقد حدد أرسطو للنشاط الإنساني غاية في السعادة، و ضع السعادة في الممارسة العليا للملكة البشرية العليا و هي العقل، و لكن العمل الأسمى للعقل هو التأمل الإلهي، تلك هي السعادة، أن نتأمل الله، و يستمد القديس توما هذه النظرة و لكنه يدخل عليها تحويرا مهما، فبالنسبة لأرسطو يجب أن تتحقق السعادة في حدود الوجود الأرضي أي في الواقع، و في المقابل يجعل القديس توما الإكويني السعادة في متناول الجميع، و لكنه يحتفظ بها للآخرة، فالسعادة عنده هي أيضا تأمل الله.[2] لأن السعادة في نظر توما ليست شيء مخلوق فقال بأن لا بد من الإقرار بأن الله هو السعادة بعينها، كما أن السعادة هي الخير الأعظم، و صفة الخير الأعظم تصدق على الله ، و أيضا أن السعادة هي الغاية القصوى التي تميل إليها الإرادة الإنسانية طبعا على إنها غايتها. و الإرادة لا يجب أن تميل إلى شيء على انه غاية لها سوى الله الذي لا يجب أن يُتَمَتَّع إلا به كما قال أوغسطينوس في التعليم المسيحي:<< فالسعادة إذا هي الله بعينه.>>[3]

[1] توما الإكويني، الخلاصة اللاهوتية، م4، مرجع سابق ، ص268.
[2] حامد عبد الحمزة محمد علي، نظرية الأخلاق في فلسفة توما الإكويني، مرجع سابق، 18.
[3] توما الإكويني، الخلاصة اللاهوتية، م3، مرجع سابق، ص 199.

المبحث الثاني: امتداد الفكر الأخلاقي الأرسطي في العصر الحديث.

في العصر الحديث ارتأينا لاختيار نموذج الأخلاق الكانطية و التي كانت كصورة ناقدة للأخلاق الأرسطية، ففيما تتمثل هذه الصورة الأخلاقية؟

المطلب الأول: الأخلاق عند إمانويل كانط*(1724.1804 Immanuel Kant)

يعد كانط أحد أهم فلاسفة الأخلاق في العصر الحديث، فقد اهتم بالإنسان و أسس له مذهبا في الأخلاق، حيث يقول:<< في هذا الشتاء سأفرغ من تأليف القسم الأول من مذهبي الأخلاقي إن لم يكن كله، فعلى الأقل معظمه.>>[1]

ويتضح أن "كانط" قد كرس جزء من حياته لدراسة الأخلاق، حيث حاول جاهدا تأسيس مذهب أخلاقي يثبت فيه اهتمامه بالإنسان بوجه عام.

ألف "كانط" في الأخلاق ثلاثة كتب هي: تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق سنة 1785، و نقد العقل العملي 1788سنة، و ميتافيزيقا الأخلاق سنة 1897، و لنبدأ بشرح معنى ميتافيزيقا الأخلاق، إنه يقصد بالميتافيزيقا هاهنا بالمعرفة القبلية بموضوع ما عن طريق التصورات المحضة، حيث تتناول قوانين ما يجب أن يكون، فضلا على أنها تستمد قوانين الأخلاق من العقل.[2] إن مؤلفات كانط في الأخلاق تبرهن على مدى اهتمامه بهذا البحث الإنساني، الذي يعبر عن الهوية الإنسانية و يستهدفها.

---

[1] عبد الرحمن بدوي، الأخلاق عند كانت،(الكويت، وكالة المطبوعات، د.ط، 1989)،ص 31.

*فيلسوف ألماني و لد و مات في كونيغسرغ (بروسيا الشرقية) 22 نيسان 1724 _ 12 شباط 1804.(جورج طربيشي، معجم الفلاسفة، ملرجع سابق، ص 513).

[2] عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، مرجع سابق، ص 281.

تقوم الأخلاق الكانطية على مبادئ و أسس و قواعد أساسية، منها الإرادة الخيرة التي اعتبارها الخير الأسمى و هي الخير المطلق الغير نسبي فقال:<< من كل ما يمكن تصوره في العالم، بل و خارج العالم بعامة، ليس ثمّ ما يمكن أن يعد خيرا بدون حدود أو قيود، اللهم إلاّ الإرادة الخيرة.>>[1] يبدو أن كانط يعتقد بمطلقيه الإرادة الخيرة التي اعتبرها الخير و لا شيء سواها.

إن الإرادة الخيرة هي الشيء الوحيد الذي يمكن أن يُعَدّ خير في ذاته، لأنها لا تستمد خيراتها من المقاصد التي تحققها، أو الغايات التي تعمل من أجلها، إلا من باطن ذاتها باعتبارها الشرط الضروري الكافي لكل أخلاقية.[2] و عليه يمكن القول بأن: << انعدام الإرادة الطيبة من أي عمل خلقي فإنه يصبح عندئذ عديم الصيغة الأخلاقية.>>[3] نلاحظ أن كانط يؤكد على الإرادة الطيبة التي اعتبارها الخير الأسمى للفعل الأخلاقي.

ذهب كانط في كتابه "نقد العقل العملي" إلى أن الخير و الشر يمكن أن يكونا دافعا لتحديد الإرادة فقال :<< إن في الخير والشر إمكانية لتعيين الإرادة، إلا أن الخير بحدّ ذاته لا يمكن أن يكون الموضوع الممكن لفعل الإرادة بل الإرادة هي التي تكون في أساس الفعل.>>[4] يفسر كانط بأن الإرادة تعتبر دافع لقيام الخير أو الشر على حد السواء.

و قد يمكن القول أن مهمة العقل الحقيقي هي إيجاد إرادة خيرة، لا بوصفها وسيلة من أجل غاية أخرى، بل خير في ذاتها، و لهذا السبب كان وجود العقل ضرورة مطلقة ؛ و قد لا يمكن أن

[1] عبد الرحمن بدوي، الأخلاق عند كانط، مرجع سابق، ص 41.
[2] زكرياء إبراهيم، المشكلة الخلقية6، مرجع سابق، ص 165.
[3] المرجع نفسه، ص 165.
[4] إمانويل كانط، نقد العقل العملي، تر: غانم هنا،(بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط1، 2008.)، ص، ص 30-31.

تكون هذه الإرادة، هي الخير الوحيد، هي الخير كله لكنها مع ذلك و بالضرورة هي الخير الأسمى، و هي شرط لكل خير أخر، بل و كل تطلع للسعادة.ولهذا يجب تنمية فكرة الإرادة الجليلة تماما في ذاتها، الإرادة الخيرة في ذاتها بغض النظر عن كل غرض لاحق.[1]

إن حضور العقل و استخدامه في إيجاد الإرادة يعد شرط لبلوغها، فقد اعتبره كانط مهم للعقل، و بما أنه قد جعله شرطا ضروريا لبلوغ الإرادة ، يتضح لنا من خلاه أنه بغياب العقل تغيب الإرادة و منه غياب الأخلاق.

و لتوضيح طبيعة هذه الإرادة الخيرة يستعين كانط بفكرة الواجب، ذلك لأن الإرادة التي تعمل وفقا للواجب هي إرادة خيرة، لكن لم يقصد من ذلك أن الإرادة الخيرة هي تلك التي تعمل وفقا للواجب، بل العكس لأن الإرادة الخيرة الكاملة لا تعمل ابتغاء أداء الواجب، لأن في فكرة الواجب فكرة ما، ينبغي التغلب عليه من الميول و الرغبات.[2]

بعد ما تطرقنا لمذهب السعادة؛ كان من الأجدر لنا أن نتحدث عن نظرية "الواجب"، التي تحكم على الفعل الخلقي في ذاته، لا بالنظر إلى آثاره أو نتائجه، لأن معظم المذاهب الأخلاقية و بالتحديد مذهب السعادة، قد أغفلا عنصر الإلزام أو التكليف، و كأن الأخلاق مجرد بحث عن النتائج السارة، أو الغايات السعيدة أو المنفعة، و أهمل جانبا هاما من جوانب الأخلاق، و هو جانب الإلزام و التكيف؛ و قد لاحظ بعض مؤرخي الفلسفة أنه لا وجود لفكرة الواجب تقريبا في معظم المذاهب الأخلاقية القديمة، و ربما كان السبب في ذلك أن فلاسفة اليونان قد تصوروا

[1] عبد الرحمن بدوي، الأخلاق عند كانط، مرجع سابق، ص46.
[2] المرجع نفسه، ص 47.

"الفضيلة" دائما و أبدا على أنها ضرب من الانسجام، أو التوافق، أو الطمأنينة النفسية، أو السكينة القلبية، فيحين أن الحياة الخلقية هي أيضا صراع و جهد و مشقة و إلزام.[1]

نستخلص بأن الأخلاق في العصر الحديث قد سلكت مسارا مختلف و هو الابتعاد عن البحث عن السعادة و التوجه إلى البحث عن الإلزام الخلقي. فقد فرق كانط بين الفضيلة و الواجب، فقال:<< إن الفضيلة هي المبدأ الداخلي للأفعال الإنسان التي يحقق بها الإنسان كماله الذاتي، و سعادته، و سعادة غيره، على حين أن الواجب هو الأمر المطلق الذي توزن به الأفعال.>>[2]؛ و يعني أن الفضيلة ناتجة من داخل الإنسان وليس من خارج هو هي وسيلة لتحقيق سعادة الفرد و سعادة الجماعة و في المقابل نجد الواجب الذي يعد إلزاماً خلقيا للجميع.

تكلم كانط في بداية كتابه "تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق"، عن الأمر الأخلاقي المطلق فقال:<< افعل الفعل بحيث يمكن لمسلمة سلوكك أن تصبح مبدأ تشريع عام>>. و بعبارة أدق بحيث تريد لها أن تصبح قانون عاما لجميع الناس[3]؛ يبدو لنا من قول كانط أنه يدعو لأخلاق موحدة و مطلقة لجميع الناس أي أخلاق تكون صالحة في كل مكان و زمان. و يقول في هذا أيضا:<< افعل الفعل بحيث تعامل الإنسانية في شخصك و في شخص كل إنسان سواك باعتبارها دائما و في الوقت نفسه غاية في ذاتها، و لا تعاملها أبدا كما لو كانت مجرد وسيلة.>>[4] نستخلص من ثنايا النص أن كانط يلمح لرفضه لغائية الأخلاق و في المقابل يقر

[1].زكارياء إبراهيم، المشكلة الخلقية6، مرجع سابق، ص163.
[2]جميل صليبا، معجم الفلسفي، ج2، مرجع سابق، ص 148.
[3]إمانويلكانط، تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق، تر: عبد الغفار مكاوي، (المانيا، منشورات الجمل، ط1، 2002)، ص 11.
[4]المرجع نفسه، ص 11.

بالخير المطلق، و بما أن أخلاق الأرسطية أخلاق غائية تسعى إلى الخير الأسمى و السعادة القصوى، و كانت وسيلتها في ذلك الفضيلة لبلوغ الغاية المنشودة و هي السعادة، نستنتج بأن كانط ينقد أخلاق السعادة بوجه عام و الأرسطية بوجه خاص.

المطلب الثاني: الأخلاق بين أرسطو و كانط.

من البين أن طبيعة الأخلاق الكانطية يعاكس طبيعة الأخلاق الأرسطية فقد درس العديد من الباحثين هذه التعارضات، و نختص بذكر النتائج التي توصل إليها "ترندلنبورج" في بحثه بعنوان: التنازع بين كانط و أرسطو و التي لخصها كما يلي:

- أثبت كانط أن الكلي هو مضمون دوافع الإرادة العاقلة، لكنه لم يثبت أن الكلي الشكلي هو الذي يجب أن يكون مبدأ. و البرهنة على هذا، ناقصة و معيبة، لكنه في منتزع أرسطو يوجد مبدأ يجمع بين الكلي و الخاص؛ إنه الكلي؛ و لكنه ليس شكليا بل نوعي.
- أثبت كانط أن الإرادة المحضة هي الإرادة الخيرة، لكن لم يبرهن على أنه لا يمكن أن يكون لديها دافع تجريبي و موضوع للتجربة. أي لا يوجد انتقال من الإرادة الخيرة المحضة إلى الإرادة الفعلية الواقعية– لكن في منتزع أرسطو يوجد مبدأ لا يتخلى عن لإرادة الخيرة، بل يحققها.

برهن كانت على أن اللذة لا يجوز أن تكون دافعا للإرادة الخيرة، و إلا لكان الدافع هو الأثرة، لكنه لم يبرهن على أن اللذة مستبعدة من الفضيلة، و أن العقل يأتي مع ذلك في شروط العملية

مع مقتضيات السعادة. أما في منتزع أرسطو فيوجد مبدأ لا يتجرد عن اللذة بل يولدها من تلقاء ذاته[1].

يبدو أن الخلاف قائم بين أرسطو و كانط في نظرتهما للأخلاق، و يعود هذا حسب اعتقادنا إلى اختلاف تزامن العصور، و أيضا اختلاف في نظرتهما للأخلاق في شقيها النظري و العملي على حد السوء.

يري أحد الدارسين أن الخلاف بين أرسطو و كانط هو التصور وهما العلاقة بين النظري و التطبيقي؛ أما الأول فيرى أن النظرية تترتب عن التطبيق، و أحيانا يمكنها أن تختفي أمام التطبيق؛ و الثاني فيرى أن النظرية تنظم و تتحكم في التطبيق، بالتالي يجب أن توضع بصرف النظر عن التطبيق.صحيح أن الأخلاق و ضعت لتطبق على الإنسان، لكن يجب تأسيسها أولا قبل تطبيقها.[2]

نستخلص من خلال كل ما سبق أن أخلاق كانط هي أخلاق الواجب، و يعني أنها ذات طبيعة إلزامية تعتبر الإرادة المحضة هي الخير الأسمى و الموحد لدا جميع الناس في كل زمان و مكان مع صرف النظر على حصول ثواب في مزاولة الفضيلة، و هذا يقودنا إلى أن أخلاق السعادة الأرسطية هي على خلاف مع أخلاق الواجب الكانطية؛ و عليه يمكن القول أن أخلاق الواجب تمثل الامتداد النقدي للأخلاق الأرسطية و هي أخلاق السعادة.

[1] عبد الرحمن بدوي، الأخلاق عند كانت، مرجع سابق، 37-38.
[2] المرجع نفسه، ص 38.

بعد ما تناولنا بالدراسة لامتداد الفكر أخلاقي عند أرسطو في العصور اللاحقة حيث انعكس في العصر الوسيط، و مثل هذا الانعكاس القديس توما الإكويني الذي كان أرسطيا بامتياز فأسس مذهبا أخلاقيا يمثل امتداد للفكر الأخلاقي الأرسطي و هي أخلاق السعادة ذو صبغة دينية إيمانية غايتها أخروية و بمعنى آخر يمكن القول أن الأخلاق الأرسطية و الأخلاق التو مائية هما وجهان لعملة واحدة، أم الانعكاس الثاني الذي ساد العصر الحديث و المتمثل في الامتداد النقدي لأخلاق السعادة الذي مثله الفيلسوف الألماني إمانويل كانط و هي أخلاق الواجب، و عليه يمكننا أن نصل إلى نتيجة هي أن المذهب الأخلاقي الأرسطي ظلّ راسخا لقرون طويلة إذ ساد تفكير مختلف الفلاسفة و الدرسين لعلم الأخلاق و لكن بوجهات نظر مختلفة و بأبعاد متباينة.

الخـاتمة

بعد ما تناولنا بالدراسة موقف أرسطو من الأخلاق، نلاحظ بأنه فيلسوف ذو نزعة عقلية ، ظلت راسخة قرون طويلة، إذا تعددت المعارف عنده و الأبحاث، حيث استطاع أن يؤسس مذهبا في الأخلاق، و توصلنا للنتائج التالية و التي تم تحقيقه في المذهب الأخلاقي الأرسطي و هي كما يلي:

1. تمكن أرسطو من تحليل الأفكار الأخلاقية لسابقيه، نقدا و قبولا، من أجل وصول لأفكار جديدة و نصل من خلال هذا التحليل أنّ فكره الأخلاقي هو اِمتداد للفكر الأخلاقي السابق عنه.
2. تمكن أرسطو من إنجاز مذهب في الأخلاق، تتمثل طبيعته في أخلاق السعادة للفرد و للجماعة على حد السواء.
3. تقسيم أرسطو الفضائل إلى عقلية و خلقية و فق معيار عقلي واقعي.
4. تمكن أرسطو من جعل وسيلة لبلوغ السعادة، و هي فضيلة التأمل العقلي.
5. استطاع أرسطو أن يدرس أخلاق الفرد و أخلاق الجماعة، أي قام بالتنظير ثم حاول تطبيقه في الواقع.
6. استطاع أرسطو أن يربط بين الأخلاق و السياسة في مذهبه الأخلاقي.
7. تمكن أرسطو من استخدام منهج تجريبي في دراسته للأخلاق، أي بدأ في بحثه من الفرد متجها إلى الدولة، مطبقاالجدل النازل ينطلق من الخاص إلى العام.

8. امتدت الأخلاق الأرسطية إلى ما بعده من عصور، من خلال الفكر التوماوي في الفكر الوسيط و الأخلاق الكانطية في الفكر الفلسفي الحديث.

و نأمل أننا قد لمسنا و لو جزء يسير من هذه الدراسة و أعطينا لها حقها بالتحليل، و يبقى مجال البحث مفتوح في هذا الاختصاص.

قائمة المصادر و

المراجع

قائمة المصادر و المراجع:

أولا: قائمة المصادر:

القرآن الكريم.

1. أرسطو ، علم الأخلاق إلى نيقوماخوس، (تر)،أحمد لطفي السيد ، (القاهرة، دار الكتب المصرية ،ج1،ط2، 1964).
2. أرسطو، السياسة، تر: أحمد لطفي السيد،(مصر، دار القومية لطباعة و النشر، د.ط، د.ت).
3. أرسطو، دعوة إلى الفلسفة،(تر) عبد الغفار مكاوى،(القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، د.ط ،1987).

ثانيا: قائمة المراجع:

1. أحمد أمين، كتاب الأخلاق، (القاهرة، دار الكتب المصرية، ط3، 1931).
2. أحمد شمس الدين، أفلاطون،(بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1990).
3. أرنت ليبهارت، الديمقراطية التوافقية في مجتمع متعدد، تر: حسني زينه،(بيروت، الفرات للنشر و التوزيع، ط1، 2006).
4. أفلاطون ، في السفسطائيين و التربية ، محاورة بروتاجوراس ، (تر) عزت القرني ، (القاهرة، دار قباء ، د.ط ،2001).
5. أفلاطون، الجمهورية، تر: شوقي داود تحراز، (بيروت، الأهلية لنشر والتوزيع،ج1، (د.ط)،1994).

6. أفلاطون، محاورة فيدون،تر: عزت قرني، (القاهرة، دار قباء للطباعة و النشر، ط3، 2001).

7. أفلاطون،في الفضيلة (محاورة مينون)،(تر) عزت قرني،(القاهرة، دار قباء، د.ط، 2001.).

8. إمام عبد الفتاح إمام، فلسفة الأخلاق،(القاهرة، دار الثقافة لنشر و التوزيع، د.ط ،1988).

9. إمانويل كانط، نقد العقل العملي، تر: غانم هنا،(بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط1، 2008.).

10. إمانويل كانط، تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق، تر: عبد الغفار مكاوي، (ألمانيا، منشورات الجمل، ط1، 2002).

11. أميرة حلمي مطر، الفلسفة اليونانية تاريخها و مشكلاتها، (القاهرة، دار القباء، د.ط، 1998).

12. بتراند راسل، تاريخ الفلسفة الغربية، تر: زكي نجيب محمود(مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج2،د.ط، 2010).

13. توما الإكويني، الخلاصة اللاهوتية، تر:الخورى بولس عواد،(بيروت، المطبعة الأدبية ، م4، د.ط ، 1881).

14. جان توشار، تاريخ الفكر السياسي، تر: علي مقلد،(بيروت، الدار العالمية، ط2، 1983).

15. جورج سارتون، تاريخ العلم، تر:محمد خلف الله و آخرون،(القاهرة، المركز القومي ، ج

16. زكارياء ابراهيم، المشكلة الخلقية6،مصر، دار مصر للطباعة، د.ط ، د.ت).

17. زكي نجيب محمود، و أحمد أمين، قصة الفلسفة اليونانية، (القاهرة، دار الكتب المصرية، ط2، 1935).

18. عبد الرحمن بدوي، الأخلاق عند كانت،(الكويت، وكالة المطبوعات، د.ط، 1989).

19. عبد الرحمن بدوي، ربيع الفكر اليوناني، (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط3، 1942).

20. عبد الرحمن بدوي، فلسفة العصور الوسطى،(بيروت، دار القلم ، ط3، 1979).

21. عبد الفتاح مصطفى غنيمة، فلسفة العلوم الطبيعية، (جامعة المنوفية، كلية الأدب، د.ط، د،ت.).

22. عمار عوادي، فلسفة الإغريق، (عمان، مكتبة المجتمع العربي، ط1، 2016).

23. [1]كلود يونان ،التضليل الكلامي و آليات السيطرة على الرأي،(بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات ،د.ط،2009.).

24.ماجد فخري ، أرسطو طاليس، (بيروت، المطبع الكاثوليكية، د.ط، 1958).

25. مصطفى عبده، فلسفة الأخلاق،(القاهرة، مكتبة مدبولي، ط1999،2).

26. وِل ذيورَانت، قصة الفلسفة، (تر)، فتح الله محمد المشعشع، (بيروت، مكتبة المعارف، ط4، 1982).

27. ولتر ستيس،تاريخ الفلسفة اليونانية ،(تر)،مجاهد عبد المنعم ،(القاهرة، دار الثقافة للنشر و التوزيع،د.ط ،1984).

28. يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، (الجامعة المصرية، لجنة التأليف و الترجمة، د.ط، د.ت).

ثالثا: المعاجم و الموسوعات.

1. ابن منظور، لسان العرب، (تح)، عامر أحمد، (بيروت– لبنان،ج10، ط1، 2003).

2. أندريه لالاند، موسوعة الفلسفية تر: خليل أحمد خليل، (باريس، منشورات عويدات، ط2، 2001).

3. جلال سعيد، معجم المصطلحات و الشواهد الفلسفية،(تونس، دار الجنوب لنشر،د.ط،د.ت).

4. جميل صليبا ، المعجم الفلسفي، (بيروت، دار الكتاب اللبناني،ج1، د.ط ، 1978).

5. جورج الطربيشي: معجم الفلاسفة ،(بيروت،دار الطليعة،ط3 ،2006).

6. سمير بالكفيف، و أخرون، موسوعة الأخلاق، ،(الرباط، دار الآمان،د.ط، د.ت).

7. عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، (بيروت، المؤسسة العربية لدراسات،ط1984،1).

8. مجد الدين محمد بن يعقوب الفَيرُوز آباديّ، القاموس المحيط ،(تح)محمد نعيم العرقسوس،(بيروت لبنان،مؤسسة الرسالة، ط8، 2005).

رابعا: المجالات و الدوريات.

1. حسين حمزة،الأخلاق في الفكر الأفلاطوني الفلسفي،(جامعة الكوفة، كلية الآداب، قسم فلسفة،العدد العاشر،2008).
2. قلامين صباح، محاضرات في فلسفة الأخلاق، (لبنان، مركز جيل البحث العلمي، د.ط، 2015).
3. حامد عبد الحمزة محمد علي، النظرية الأخلاقية في فلسفة القديس توما الأكويني،(جامعة بابل، مجلة العلوم الإنسانية،م25،العدد2016،3).

الفهرس

المحتويات	الصفحة
إهداء	.I
شكر و تقدير	.II
مقدمة	أ
الفصل الأول: مصادر الفكر الأخلاقي عند أرسطو	
المبحث الأول: الإطار لمفاهيمي لفلسفة الأخلاق.	08
المطلب الأول: ماهية الأخلاق	08
المطلب الثاني: المذهب الأخلاقي	11
المبحث الثاني: أثر الفلاسفة السابقين على الفكر الأخلاقي الأرسطي.	14
المطلب الأول: الآراء الفيثاغورية في الأخلاق	14
المطلب الثاني: الآراء السفسطائيين في الأخلاق	17
المطلب الثالث: آراء سقراط	23
المطلب الرابع: آراء أفلاطون	27
الفصل الثاني: الأخلاق بين النظري العملي من المنظور الأرسطي	
المبحث الأول:نظريات الأخلاق من منظور أرسطي	35
المطلب الأول: نظرية الخير و السعادة	35
المطلب الثاني: نظرية الفضيلة	42
المطلب الثالث: نظرية الشجاعة و الاعتدال	47
المبحث الثاني:علاقة الأخلاق بالسياسة عند أرسطو	53
المطلب الأول: السياسة	53
المطلب الثاني: علاقة الأخلاق بالسياسة	59
الفصل الثالث: امتدادات الفكر الأخلاقي الأرسطي في العصر الوسيط و الحديث	
المبحث الأول: أثر أرسطو في العصر الوسيط	66
المطلب لأول: الأخلاق عند توما الاكويني	66

المبحث الثاني: أثر أرسطو في العصر الحديث	76
المطلب الأول: الأخلاق عند كانط	76
المطلب الثاني: الأخلاق بين كانط و أرسطو	80
الخاتمة	83
قائمة المصادر و المراجع	86

ملخص الدراسة:

نتناول في هذه الدراسة رؤية أرسطو للأخلاق في شقيها النظري و العملي، و أيضا التعرض لاجتهاداته في تأسيس علم الأخلاق الذي يعد حل لمعالجة سلوك الإنسان و الحكم عليه ، و كان ذلك بالعودة إلى تاريخ الفلسفة بدءا باليونان و صولا إلى العصر الحديث، ضف إلى ذلك التعرف على طبيعة الأخلاق الأرسطية بأنها أخلاق السعادة سواء للفرد أو للجماعة، و التي اعتمدت على فضيلة التأمل العقلي كوسيلة لبلوغ الخير الأسمى و السعادة القصوى في الفكر الأخلاقي الأرسطي الذي يبدأ من الجزء و هو الفرد و ينتهي إلى الكل و هو الدولة.

الكلمات المفتاحية: أرسطو، الأخلاق، السعادة القصوى، ، الفضيلة، الخير الأسمى،

This study tackles the ethical visions of Aristotle in a practical and a theoretical term. Also, it highlights his achievements in founding ethics as a discipline which concerns human behavior and its assessments. This study referred to philosophy history from ancient Greek philosophy till nowadays (modern era) .In other hand, it recognizing the Aristotle ethical nature as happiness ethical code whether to individual or group that depended on the mental meditation virtue as a super- goodness hands-on-tool and maximum happiness in Aristotle ethical doctrine which starts with the " part" who is "the individual" and ends with" the group" which is " the state".

Key words:aristae, ethics, maximum happiness , virtue, super-goodness.